علم وإيمان

موقف الدين من العلم

٢٤ رمضان ١٤٢٨

اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴿١﴾ خلق الإنسان من علق ﴿٢﴾ اقرأ
وربك الأكرم ﴿٣﴾ الذي علم بالقلم ﴿٤﴾ علم الإنسان ما لم يعلم ﴿٥﴾

تأليف
الشيخ محمد نمر الخطيب
رئيس قسم علم الكلام والفلسفة بكلية الشريعة
جامعة بغداد

دار العربية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

دار العربية للطباعة والنشر

المركز الرئيسي: شارع سورية. بناية صمدي وصالحة. طابق أول رقم ١١
هاتف للمكتب: ٢٢٢٠٦٧-٢٤٨٢١٢- المطبعة: ٢٦٦٢٧٤- المنزل: ٢٧٨٩٨١- ص ب ١١٦٠٨٩. برقياً: درويز
فرع دمشق: هاتف: ٢٢٥٦٤١- ص ب ٦٠٦١

موقف الدين من العلم

المقـدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاة الله وسلامه وبركاته على مولانا محمد وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين، وعلى أصحابه الكاملين، وآل بيته الطاهرين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعد،

فهذه رسالة صغيرة الحجم إشتملت على موضوع هام يعتبر موضوع الساعة، وحديث العامة. وطالما شغل العلماء الذين تصدوا لهذا الموضوع، الذي أثاره المبشرون وأذنابهم، والمستشرقون وأعوانهم، ألا وهو:

موقف الدين من العلم

وقد استهدفوا في إثارة هذا الموضوع الطعن على الإسلام، واتهامه بالجمود، وعدائه للعلم، وأنّه السبب في تأخر المسلمين عن ركب الحضارة والمدنية.

كما استهدفوا الوصول إلى هدم الشريعة الإسلامية، واعتبارها كالنصرانية عقيدة لا تمت إلى الدولة ولا إلى تنظيم الشؤون الدنيوية. كلّ ذلك لإشغال المسلمين، وإبعادهم عن دينهم الذي يدعوهم إلى محاربة الاستعمار بأشكاله، والرضوخ إلى الذلِّ بأنواعه.

وليس غرض هؤلاء التنفيس عن أحقادهم للإسلام، وتعصبهم لعداوته فحسب، وإنّما يقصدون أيضاً إبعاد المسلم عن دينه، لأنهم يعتقدون أنّ المسلمين إذا عرفوا دينهم المعرفة الصحيحة، والتزموا العمل به إلتزاماً صحيحاً لا بدّ لهم أن يفعلوا كما فعل أباؤهم من نشر نور الإسلام وهدي القرآن وإعادة هؤلاء الصليبيين إلى صوابهم، وارشاد أولئك الوثنيّين إلى دين الحق.

كل هذه مخاوف تقوم في أذهان الغربيين فيعملون الليل والنهار، متوسلين بكل الوسائل الشيطانية، وبكل الطرق الوحشية لإبعاد المسلمين عن دينهم الصحيح.

ولقد قام نفر كريم من أفاضل علمائنا، في الرد على هؤلاء وأولئك نذكر منهم الشيخ **محمد عبده**، الشيخ **محمد رشيد رضا**،وحكيم الإسلام الشيخ **يوسف الدجوي**، والأستاذ محمد فريد وجدي والشيخ **محمد بخيت المطيعي** والشيخ **محمد** خضر حسن ومحود عباس العقاد ومصطفى صادق الرافعي والشيخ **مصطفى الغلاييني** وغيرهم وغيرهم رحمهم الله واجزل مثوبتهم.

ومما ينبغي أنْ نذكره أنّ هذه الشبهة،التي يثيرونها ضد الإسلام،لا تقتصر على وقت دون وقت، ولا بلدٍ دون بلدٍ، بل كلّما أطفئت فتنة أشعلوا غيرها- وكلّما أثاروا شبهة عملوا على تكرارها بأساليبهم المختلفة، سواء في الدسّ بالكتب التي تسمى بعلمية، أو بالمجلات والجرائد والنشرات والإذاعات إلى غير ذلك.

سبب تأليف هذه الرسالة

لقد كانت هذه المسألة (موقف الدين من العلم) من المواضيع التي تناولها (العلم والإيمان) الذي أوكل إلينا تدريسه على طلبتنا في كلية الشريعة إحدى كليات جامعة بغداد. وقد رأينا أن نفرده بالنشر، مستقلاً في رسالة خاصة، لتكون فائدته أعم، وجدواه أوسع.

وقد اشتمل هذا البحث على الفصول الآتية:

الفصل الأول: ويحتوي على الإجابة عن سؤال ما هو موقف الدين من العلم. بينّا فيه أنّ الصراع فيما بينهما كان بين الرجال الأحرار، وبين رجال الكنيسة. وأنّ المسلمين لا يعرفون هذا الصراع-

وذكرنا في هذا الفصل موقف الإسلام، وفضيلة العلم، والتعليم، وما ورد في ذلك من الآيات والأحاديث.

ونقلنا فيه بعض كلام علمائنا في ذلك.

الفصل الثاني: العلم والدين توأمان في الإسلام، وذكرنا فيه أنّ الإسلام بنى

عقيدته وشريعته على العلم، فكيف يخاصم العلم؟..

وذكرنا في هذا الفصل أقوال الباحثين في ذلك.

الفصل الثالث: أثر الدين الإسلامي في نهضة العلم والعلماء، وكيف أنّ الإسلام كان له ذلك الأثر العظيم في أنواع العلوم والمعارف، وفي استنهاض همم العلماء في الكشف عن أسرار الوجود، وما قام به المسلمون من تأليف الكتب وإنشاء المكاتب، وعمارة المدارس والجامعات، وما كان لكل ذلك من أثر في العالم الغربي في حضارته ومدنيته المعاصرة.

وذكرنا في هذا الفصل أسماء كثير من مشاهير العلماء والفلاسفة والأدباء... الخ.

الفصل الرابع: أثر الحضارة الإسلامية على الغرب، وذكرنا في هذا الفصل أنّ علماء المسلمين هم الذين فتحوا عيون الغرب على المعرفة، وأناروا قلوبهم وعقولهم، وأنهمّ كانوا السبب في إخراج أوروبا والعالم كلّه من ظلمات الجهالة والهمجية التي كانوا غارقين فيها.

هذا وقد كان مرادنا أن نتوسع في هذه المباحث، غير أنّ الوقت لم يتسع لذلك، ولأن كثيراً من هذه الموضوعات قد تعرّضنا إليها في رسائلنا وكتبنا، ومع هذا فإننا نرجوه تعالى أن يوفقنا لاستكمال هذا البحث، وإعطائه المزيد من الإيضاح، وإظهار الحقائق التاريخية.

ونسأل الله تبارك وتعالى التوفيق والهداية والإعانة، والإخلاص في العمل والصواب في القول.

كما نرجو أن تساعد هذه الرسالة وأمثالها على تنبيه المسلمين، وإيقاظ الغافلين- وأنْ تساهم في إعادتهم إلى رشدهم وعزّهم، وسالف سلطانهم ومجدهم.

وسيرى القارىء الكريم، ما بذلناه من جهدٍ متواضع في تحقيق الأعلام، وتخريج الآيات والأحاديث والآثار، جاعلين نصب أعيننا إيقاظ أبنائنا وطلابنا، وإشعال الغيرة في نفوسهم، والإيمان في قلوبهم، والعزّة في صدورهم، ليعلموا أنّهم سلالة خير أمة أخرجت للناس- وأنّهم جديرون بأن يفعلوا ما فعل

آباؤهم من إعادة العدالة إلى العالم، وإخراج البشرية من عبادة المـادة والأصنام إلى عبادة الله الواحد القهّار.

اللّهم ردّنا إليك ردّاً جميلاً، وأصلح المسلمين رعاة ورعيّة.

وصلى الله على سيدنا محمد خير البرية، وآله ذوي النفوس الزكية.

وآخر دعوانا أنْ الحمد لله رب العالمين

الفقير إليه تعالى

الشّيخ محمّد نمر الخطيب

بغداد - حدائق السعدون

٢١ ربيع الثاني ١٤٠١هـ

٢٦ شباط ١٩٨١م

الفصـــل الأول

موقف الدين من العلم

ما هو موقف الدين من العلم؟

كثيراً ما يسأل الناس عن موقف الدين من العلم. ويريدون أن يتعرفوا على حقيقة موقف الدين:

هل هو يؤيد العلم، ويدعو إليه؟.

أو هو يناهضه ويعاديه، أو ينفر منه؟.

لاشك أن هذه الأسئلة عن موقف الدين من العلم، نشأت لدى الجيل المعاصر من الشباب، وخاصة لدى أولئك الذين تعلموا في ديار الغرب. أو لدى أولئـك النفر، الذين قرأوا تاريخ تلك المعارك، وذلك الصراع، الذي دار بين رجال الكهنوت في أوروبا، وبين الأحرار ورجال الفكر والعلم- وكيف استمرت هذه المعارك، زمناً طويلاً كان يحرق فيها العلماء، ويعذبون أشد العذاب- وكان الناجي منهم إذا نجا يؤخذ عليه العهد بأن لا يعود إلى أفكاره.

وأن يهجر العقل والعلم، أبداً إلى آخر ما هنالك من أحاديث الصراع الرهيب، الذي دام عشرات السنين، والذي كان من آثاره ما بليت به أوروبا من جهل طامس، وليل دامس، وعبودية وتحجر.. ممّا أخرّ أوروبا، عن ركب الحضارة والمدنية، قروناً طويلة.

كلّ ذلك كان بسبب تحكم رجال الدين، وتسلطهم على الأفكار والعقول.

وبقي هذا الليل مسدلاً ستار الظلام على أوروبا كافة إلى أن انتهى بانتصار العلماء، على رجال الكنيسة، بعد معارك طاحنة دامية، وأخيراً انتهى ذلك العصر المظلم بتجريد رجال الدين عن سلطانهم وجبروتهم والزامهم حدوداً لا يتعدونها وبالقيود التي حددت لهم وبفصل الدين عن الدولة، ولم يبق لرجال الدين ذلك السلطان الذي كانوا يتمتعون به، ولا ذلك النفوذ الذي تفردوا به قروناً طويلة.

أقول: السؤال عن موقف الدين من العلم إنما جال بخواطر هؤلاء الناس ظناً منهم، أن ما وقفه رجال الكهنوت من رجال العلم هو موقف كل دين، من الأديان.

أو أن هذا الموقف هو الموقف الطبيعي لكل رجل دين من أي دين ولكنَّ الحقيقة ليست كذلك.

ولذا وجب أن نبين موقف الدين الإسلامي من العلم، لإزالة هذا الغموض وكشف هذا الالتباس، وخصوصاً وأن جهلة المبشرين والمغرضين من المستشرقين لا يتركون فرصة من الفرص إلا ويقذفون شبابنا المسلم بمثل هذه الأباطيل والترهات.

موقف الدين الإسلامي من العلم:

لقد حدّد الإسلام موقفه من العلم منذ اللحظة الأولى، التي بشّر فيها رسول الله (ﷺ) بالرسالة.

فمن اللحظة الأولى كان أول خطاب خاطبه جبريل عليه السلام

عن لسان ربه تعالى قائلاً لرسوله محمد ﷺ: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلم﴾[1].

لقد أمره بالقراءة، والقراءة وسيلة العلم.

ثم كرّر عليه الأمر بالقراءة، لأن تكرار القراءة هي زاد العقل وغذاء الفكر.

ثم بين له أن طريق العلم، القلم أيضاً.

فالقراءة والقلم هما وسيلتا العلم، بالإضافة إلى أن القلم هو الذي خلّد العلم، وأبقاه للأجيال، والإنسانية أبد الدهر.

وإذا كانت هذه الآيات الكريمة، هي أول الآيات التي تلقاها رسول الإسلام عن ربه، ففيها ولا شك، التحديد لموقف الدين من العلم أولاً، وبيان المنهج والطريق التي رسمها الله تعالى لهذا الدين. وأنه دين العلم ودين المعرفة، ودين الفكر ودين النظر.

ويدلنا على هذا، الآيات الكثيرة التي نزلت بعد ذلك وكلها في بيان فضل العلم والحث عليه، وفضل العلماء وبيان منزلتهم، ومقامهم، وتعلم العلم وتعليمه، وحرمة كتمانه، وكتابته بالقلم. وفضل الراسخين في العلم، وتفضيل بعضهم على بعض. وحرمة الافتاء بغير علم والافتخار به، والرحلة في طلب العلم.. إلى آخره..

ثم بين القرآن، أصناف العلم والفنون، والصنائع، ذاكراً لها تارة بطريق العبارة، وأخرى بالإشارة، مما لا تكاد سورة من سور القرآن

---

(١) سورة العلق. رقم الآية (١) (٥) (الجزء الثلاثون).

تخلو عن العلم والدعوة إليه، والفكر وأثره وفضله، والعقل وميزته ومكانته[1].

ولا نكاد نرى ديناً حث فيه على العلم بمقدار ما حث عليه الإسلام.

ولا نرى نبياً، حض على العلم، وأمر به وشدّد عليه، مقدار ما قام به رسول الله ﷺ حالاً ومقالا.

قال حجة الإسلام، في كتابه (المعارف العقلية) كلاماً لطيفاً في فضل القلم والكتابة ننقله لنفاسته:

(ولولا أن الكتابة جارية بين الناس لما تقررت المعاني، ولا استكملت النفوس، لأن جميع المعاني المطلوبة ربما لا تتفق لفظ جميع الألسنة بها مع جميع الطالبين، فيبطل التعليم ويضيع المتعلم. فالله سبحانه بجزيل لطفه، ولطيف حكمته ألهم بعض عباده، حتى استخرجوا بصفاء أذهانهم، من أرحام أفكارهم ومعادن أفئدتهم، هذه الفائدة العامة، لبقاء العلم تدبيراً حسناً واتخذوا من الأقلام نواباً للألسنة، وجعلوا المكتوب للمقول كالأجساد للأرواح وكالأصداف للدر، وقيدوها في بطون الدفاتر لتكون ذخيرة للأخلاف عن الأسلاف، وينتقل العلم من قرن إلى قرن ومن قوم إلى قوم، ومن أهل إلى أهل، إلى أن يقضيَ الله أمراً فهو فاعله ومريده.

والله سبحانه منّ على نبيه ﷺ بعلم القلم فقال عز وجل: (اقرأ

---

(١) أنظر كتاب دليل مباحث علوم القرآن للشيخ محمد العربي العزوزي (رحمه الله تعالى وعفا عنه). من صفحة ٥٠ - ٥٦

وربك الأكرم الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)[١].

ومن شرف الكتابة أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها وبآلاتها فقال: «ن والقلم وما يسطرون»[٢].

فإذاً الكتابة نعمة من نعم الله تعالى وبها مزية حسنة عند ذوي الألباب لأنها تحفظ ما يتولد عن أذهان العقلاء وتقيد ما تصطاده أذهان الحكماء فأثر الكتابة يدل على المقولات الملفوظة المعبر عنها، وتلك المقولات تدل على المعاني المعقولة المكنونة في الحروف اللفظية التي هي وراء الأشكال والنقوش)[٣].

كما أننا لا نجد كتاباً سماوياً ولا غير سماوي، رفع قيمة العلم وميز العلماء وأشاد بفضلهم وأعلى منزلتهم في الدنيا والآخرة، بمثل ما جاء به القرآن، في المئات من آياته الكريمة.

حتى بلغت تلك الآيات مقدار سدس القرآن- إن لم نقل أكثر من ذلك-.

ولنذكر بعض ما يحضرنا منها.

١ - فضيلة العلم:

قال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم، والذين أوتوا العلم درجات﴾[٤]

---

(١) سورة العلق ٣- ٤.

(٢) سورة القلم ١-٢.

(٣) انتهى بتصرف. انظر الكتاب المنسوب للإمام الغزالي (المعارف العقلية ص ٧٧- ٧٨) مطبعة دار الفكر بدمشق.

(٤) المجادلة آية رقم (١١) (الجزء الثامن والعشرون).

﴿قل هل يستوي الذين يعلمون، والذي لا يعلمون﴾(١)
﴿إنما يخشى اللهَ، من عباده العلماءُ﴾(٢)
﴿وتلك الأمثال نضربها للناس، وما يعقلها إلاّ العالمون﴾(٣)
﴿خلق الإنسان علّمه البيان﴾(٤)

٢ - فضيلة التعلم، والأمر به:

﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾(٥)

٣ - في فضيلة التعليم:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة، والموعظة الحسنة﴾(٦)

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننّه للناس ولا تكتمونه﴾(٧)

٤ - الإمتنان بالعلم، وسماه الحكمة:

﴿هو الذي بعث في الأميّين، رسولاً منهم، يتلو عليهم آياته، ويزكيهم، ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا، من قبل لفي ضلال مبين﴾(٨).

﴿يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة، فقد أوتي خيراً

---

(١) الأعراف آية رقم (١٨١) (الجزء الثامن).
(٢) فاطر رقم الآية (٢٨) (الجزء الثاني والعشرون).
(٣) العنكبوت رقم الآية (٤٣) (الجزء العشرون)
(٤) الرحمن رقم الآية (٢) (الجزء التاسع والعشرون).
(٥) النحل رقم الآية (٤٣) (الجزء الرابع عشر).
(٦) سورة النحل رقم الآية (١٢٥) (الجزء الرابع عشر).
(٧) سورة آل عمران رقم الآية (١٨٧) (الجزء الثالث).
(٨) سورة الجمعة رقم الآية (٢) (الجزء الثامن والعشرون).

كثيراً وما يذّكر إلا أولوا الألباب﴾[١]

﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة، وعلمك ما لم تكن تعلم، وكان فضل الله عليك عظيما﴾[٢]

ومن كلامه عليه السلام: في بيان فضيلة العلم:

(العلماء ورثة الأنبياء)[٣]

(يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء)[٤]

(العالم أمين الله سبحانه في الأرض)[٥]

(فضل العالم على العابد كفضلي على أدنى رجل من أصحابي)[٦]

(فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب)[٧]

وقال عليه السلام: في فضيلة: طلب العلم

(اطلبوا العلم ولو بالصين)[٨].

(من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله، حتى يرجع)[٩]

(الحكمة ضالة المؤمن، حيث وجدها قيدها)[١٠]

---

(١) سورة البقرة آية (٢٦٩) (الجزء الثاني).

(٢) سورة النساء آية (١١٣) (الجزء الرابع).

(٣) أخرجه أبو داود، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه من حديث أبي الدرداء.

(٤) اخرجه ابن عبد البر من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف.

(٥) أخرجه ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف.

(٦) اخرجه الترمذي من حديث أبي إمامة وقال حسن صحيح.

(٧) أخرجه أبو ادود والترمذي والنسائي وابن حبان.

(٨) اخرجه ابن عدي والبيهقي في المدخل.

(٩) رواه الترمذي وقال حديث حسن.

(١٠) الحديث ضعيف في كل أسانيده على اختلاف رواياته/كشف الخفا رقم ١١٥٩ وقال الترمذي: غريب.

وقال عليه السلام: في فضيلة التعليم:

(لأن يهدي الله، بك رجلاً واحداً، خير لك من الدنيا وما فيها)(١)

(من تعلّم بابا من العلم ليعلّم الناس، أعطي ثواب سبعين صدّيقاً)(٢)

(الدنيا ملعونة ملعون من فيها، إلا ذكر الله سبحانه، وما والاه، أو معلما أو متعلما)(٣).

الرســول المعلــم:

(وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون إليه.

والثاني يعلّمون الناس.

فقال: أما هؤلاء فيسألون الله تعالى، فإن شاء أعطاهم، وإن شاء منعهم وأما هؤلاء، فيعلّمون الناس.

وإنما بعثت معلما- وجلس معهم)(٤)

النـاس: هم أهل العلــم:

لقد سُئل عبدالله بن المبارك(٥): مَن الناس؟ فقال العلماء. قيل

---

(١) أخرجه أحمد وهو في الصحيحين انه قال ذلك لعلي.

(٢) رواه أبو منصور الديلمي.

(٣) اخرجه الترمذي وابن ماجه.

(٤) اخرجه ابن ماجه.

(٥) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي الحافظ شيخ الإسلام المجاهد توفي بهيت (على الفرات) سنة ١٨١هـ.

من الملوك؟ قال الزهاد. قيل فمن السفلة؟ قال الذين يأكلون الدنيا بالدين.

الإنسان: مخلوق للعلم:

وقد علّق **الإمام حجة الإسلام، الإمام الغزالي**[1]، (رحمه الله) على عبارة ابن المبارك فقال: (ولم يجعل غير العالم من الناس، لأن الخاصية التي يتميز بها الناس، عن سائر البهائم هو العلم. فالإنسان إنسان بما هو شريف لأجله. وليس ذلك بقوة شخصه. فإن الجمل أقوى منه. ولا بعظمته، فإن الفيل أعظم منه. ولا بشجاعته فإن السبع أشجع منه. ولا بأكله فإن الثور أوسع بطناً منه. بل لم يخلق (الإنسان إلا للعلم).

العلم كل شيء في الحياة:

وقال بعض العلماء: ليت شعري أي شيء أدرك من فاته العلم. وأي شيء فاته من أدرك العلم)[2].

حديث جامع:

ولنختم هذه الكلمة بهذا الحديث العظيم.

(تعلموا العلم، فان تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومدارسته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة، وبذله لأهله قربة. وهو الأنيس في الوحدة- والصاحب في الخلوة. والدليل

---

(١) هو أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الملقب بحجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي توفي سنة ٥٠٥هـ طبقات الشافعية ٤: ١٠١.

(٢) الأحياء. جزء (١) ص (٧).

على الدين. والمصبّر على السراء والضراء. والوزير عند الأخلاء، والغريب عند الغرباء، ومنار سبيل الجنة. يرفع الله به أقواما، فيجعلهم في الخير قادة سادة هداة. يقتدى بهم. أدلة الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم. وترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم)[١].

وقد علّق حجة الإسلام عليه فقال:

(لأن العلم حياة القلوب من العمى. ونور الأبصار من الظُلَم وقوة الأبدان من الضعف. يبلغ به العبد منازل الأبرار، والدرجات العلى. والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام. به يطاع الله عز وجل، وبه يعبد، وبه يوحّد - وبه يتورّع - وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام. وهو إمامٌ، والعمل تابعه يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء)[٢].

العلم يحقق كل مراد:

وما أجمل هذا الأثر الكريم:

(من أراد الدنيا فعليه بالعلم.
ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم.
ومن أرادهما معاً فعليه بالعلم).

فداء الأسرى - والعلم:

ولا بدَّ لنا من الإشارة إلى تلك الحادثة المشهورة شهرة عامة. ألا وهي أن النبي ﷺ قد جعل في معركة بدر للأسير الذي لا يملك مالاً

(١) رواه أبو الشيخ في كتاب الثواب.
(٢) الأحياء جزء ١ ص (١١).

يفتـدي به نفسه. أن يعلّم عشرة من صبيان المدينة القراءةَ والكـتابةَ. وبذلك يكون فداؤه.

هذه حادثة ربما اعتبرها بعض الناس صغيرة، وربما مر عليها من لا يعرف اسرارها مر الكرام. ولكنها تدل أكبر دلالة على مدى تعظيم أمر العلم في نظر الدين، ورسول الدين.

انها القراءة التي أمر بها الرسول عليه السلام في أول لحظة، انها العلم الذي أشار إليه الدين إنه ركنه ودليله وصاحبه وعماده.

علوم دينية   علوم عصرية
رجال دين   رجال دولة

دفع شبهة:

لعل قائلاً يقول: إن ما ورد من الآيات، والأحاديث، والآثار عن العلم، وفضله، وعن العالم ومقامه، إنما ذلك، في علوم الدين وحدها، ولا يتناول غيرها، من علوم الدنيا.

أقول: العلم ومادام يؤدي وظيفته، في تنوير العقول، وفي تبصير القلوب، ومادام يقوم بواجبه، في التوصيل إلى الله تعالى، والتعريف عليه، فهو من علوم الدين..

وليس هناك في نظرنا، تقسيم للعلم، بعضه دين، وبعضه دنيا

وإنما العلم كله، نفحة من نفحات الرب، ومنة من منن الخالق تبارك وتعالى.

نعم، العلم درجات، وبعضه أشرف من بعض، وهذا أمر بدهي، جلي.

فكلما كان العلم ألصق بالدين، وأقرب بالتعريف على رب العالمين، كانت منزلته أرفع ومكانته أعلى، والاهتمام به أولى.

هذا، ولقد شاع بين الناس، تلك المقولة: علوم دينية، وعلوم عصرية حتى على ألسنة الخاصة. فيحمل ذلك على أنه اصطلاح،

وقديماً قيل: لا مشاحّة في الإصطلاح. وعلماء الإسلام، خاضوا في كل فن، وبحثوا في كل علم، ووصلوا إلى ما لم يصل إليه أحد، حتى صاروا مضرب الأمثال، ومحط الآمال. كما أن الإسلام لا يعترف بواسطة أحد بين الله وعباده، فليس فيه رجال كهنوت، ولا رجال دين، وإنما هناك علماء متخصصون في كل فن وعلم وليس في الإسلام ما يفصل الدين عن الدولة، والإسلام بهذا يمتاز عن كل دين، ويفترق عن الشرائع والملل الأخرى.

كلمة الإمام الشيخ محمد عبده[1] في هذا الموضوع:

(إن صح لفظ الحديث (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة)[2] أو لم يصح، فالقرآن يؤيد معناه، وعمل الأولين من المسلمين يحقق صحة ما حواه فالرجل والمرأة سواء في الخطاب التكليفي وكانا سواء في علم ما يجب عليهما من فرائض الإسلام، وخصال الإيمان، وفي طلب العلم ما يلزم لصلاح معادهما ومعاشهما وبما تحسن به المعاملة مع من يتصل بهما قرب أو بعد على تفصيل معروف في كتاب الله وسنة رسوله، وعمل الصالحين من بعده، حتى لم يبق باب من أبواب العلم إلا دخل منه بقدر الاستطاعة، وما يسمح الزمان.

ضلّ المسلم بعد ذلك في معنى العلم. فظن الرجل، أن نهاية ما

---

(١) هو الشيخ محمد عبده بن حسن بن خير الله المصري مفتي الديار المصرية توفي سنة ١٣٢٣هـ.

(٢) طرقه ضعيفة كما نقل عن أحمد: انها لا تثبت، وعن إبن راهويه: ان في إسناده مقالاً. اسنى المطالب ص ١٣٢.

يفرضه الدين منه معرفة فرائض الوضوء والصلاة والصوم في صورة أدائها .. إلى آخره[1].

(المسلمون مسوقون بنابل من دينهم، إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والعزة والمجد، ولا يرضيهم من ذلك ما دون الغاية، ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك إلا بالعلم. فهم محفوزون أشد الحفز إلى طلب العلم، وتلمسه في كل مكان وتلقيه من أية شفة وأي لسان، فإذا لاقاهم العالم في أي سبيل، أو عثروا به في أي جبل، أو ظهر لهم من أي قبيل، هشوا له وبشوا، ونصتوا إليه وكمشوا، وشدوا به أواصرهم، وعقدوا عليه خناصرهم، ولا يبالون ما تكون عقيدته، إذا نفعتهم حكمته (الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها) ألم يأتهم عن ربهم ﴿يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً، وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[2] ألم يسمعوا في وصفهم قوله (الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه)[3] ذلك شأن المسلم مع المسلم، إذا كان مسلماً حقاً وذلك ما تنجر إليه طبيعة دينه، وحديث (اطلبوا العلم ولو بالصين)[4] إن في سند لفظه إلى النبي ﷺ، مقال فسند معناه متواتر، فسنده القرآن نفسه. فإن الله يفضل العلم، وأهل العلم، بدون قيد ولا تخصيص فالمسلم مطالب بطلب العلم

(١) انظر كتاب الإسلام دين العلم والمدنية ص ٧٩.
(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٦٩ الجزء الثاني.
(٣) سورة الزمر آية ١٨ الجزء الثالث والعشرون.
(٤) رواه ابن عدي في الكامل، والبيهقي في شعب الإيمان والمدخل، وابن عبد البر في العلم، والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم، وقال ابن حبان باطل لا أصل له وحكم ابن الجوزي بوضعه وقال النيسابوري والذهبي لم يصح فيه إسناد.

ولو بالصين، ولو لم يكن في الصين مسلم على عهد النبي ﷺ.

لا شيء ينقلب عند النفس الإنسانية لذة (بنفسه)، وإن كان في أول امره مطلوباً (لغيره) مثلُ العلم، تطلب العلم أولاً لحاجتك إليه في تقويم معيشة، أو ترقية حال، أو دفاع عن نفس وملة، ثم لا تلبث إذا أوغلت فيه، أن تجد اللذة في العلم نفسه. فتصير اللذة بتحصيله، والوصول إلى دقائقه غاية، تقصر بنفسها وتضمحل فيها كل غاية سواها.

وعلة ذلك ظاهرة فإنّ العلم مسرح نظر العقل، والعقل قوة من أفضل قوى الإنسانية، بل هي أفضلها على الحقيقة، وقد وضع لها الحكيم العليم لذة، كما منح لكل قوة سواها نعيماً ولذة، ولست في حاجة إلى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق، أو اللمس، فالحيوان يعرفها قبل الإنسان. وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها فيما وجهت له، فيمكنك أن تستنتج من ذلك أن لا شيء عند الإنسان ألذ من كشف المجهول، واحراز المعقول، وقد سمح الإسلام للمسلم أن يتمتع في هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال. أفلا يكون من لذائذه ومتممات نعمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله كما يسبح في بسيط الأرض ليكسب رزقه، ويقيت أهله، على أن العلم كان من ضرورات معيشة المسلم أو حاجياتها - كما ذكرنا -.

فإذا طفق يستنبط ماءه للضرورة، ويستجلي سناءه للحاجة، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه، وشاغله عن حاجات حسه، حتى يدخل معه في رِمسه، كما وقع لكثير من المسلمين. قال إمام جليل من أئمتهم.

(طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله)[١].

---

(١) من كتاب الإسلام دين العلم والمدينة ص (١١٤ - ١١٦) محمد عبده

الفصـــل الثانـــي

العلم والدين توأمان في الإسلام

قال الأستاذ فريد وجدي[1]، (رحمه الله تعالى):

(وَلِم لا يتفق العلم والدين، ويكون الأول مؤيد الثاني، وناصره وحاميه من شائبات الشكوك، ومـؤازره ما دام العلم منتزعاً من أشياء الكون، والدين وحيّ من خالقه.

وهل يعقل أن يكون وحي سماوي مخالفاً، لوضع طبيعي، وكلاهما مستمد وجوده، من خالق واحد، تتنـزه أفعاله عن التناقض، وتتعالى إفاضاتـه عن التعارض؟ بل الذي يخشى صولة العلم، ويتهيب سطواته، رجل يريد أن يعطف حقائق الكون على خيالاته، وأن يرى نواميسه مطابقة لوهمياته، هذا الذي يرى العلم عدواً لدوداً، فيصدّ عنه صدوداً، ويكون أمامه وحيداً شروداً).

هذا هو الذي إن ذُكر العلم بحضرته، عبس وبسر وأدبر واستكبر وقال: إن هذا إلا قول البشر.

أمّا المسلم فمتى عهدناه أحجم عن العلم أو تهيب ورده؟ وأنى رأيناه انصرف عن العلم وخاف بطشه.

---

(١) هو محمد فريد وجدي بن مصطفى، ألّف دائرة المعارف وأصدر مجلة الحياة وتولى تحرير مجلة الأزهر وتوفى بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ.

العلم في كل عصر ؛ ظهر الإسلام مؤيده وناصر تعاليمه ومعضده.

لم يسقط المسلمون إلى ما هم عليهم الآن، إلا بلويهم عن العلم كشحا. وضربهم عن الخوض في مناحيه صفحا، ألم تر في كل دَور من أدوار العلم كتباً للمسلمين اتخذت أرقى مدركاته سلاحاً، للدفاع عن الإسلام وتأييده، وجعلت أعضل مسائله آلة لتشييد صرحه وتوطيده)[1].

وقال الإمام الشيخ محمد عبده، (رحمه الله تعالى):

(لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تآخي العلم والدين، على سنة القرآن، والذكر الحكيم. وعند ذلك يكون الله قد أتم نوره، وليس بينك وبين ما أعدك به إلا الزمان، الذي لا بد منه في تنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، وتوضيح المنهج، وتقويم الأعوج، وهو ما تقضيه السنّة الإلٓهية، في التدريج)[2].

أقول: لقد ذكرنا لك فيما مضى بعضاً من الآيات والأحاديث، الدالة على أهمية العلم، ومقامه، في الإسلام.

وبيّنا لك أيضاً أن الدين الإسلامي قد حدّد، موقفه- من أول لحظة، ومن أول ولادته-ولنظرته إلى العلم مبيناً أن هذا الدّين إنما يقوم أولاً على العلم، وليس هذا بغريب عن الإسلام.

وذلك لأن الإسلام دين الله الحق، وما دام أنه الحق فلن يصطدم مع حق أبداً، ومادام العلم حقاً فلن يصطدم مع الدين أبداً.

---

(١) انظر الإسلام في عصر العلم ص ١١- ١٢ خطبة المؤلف.

(٢) انظر كتاب الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ١٢٦.

وهذا ما قلناه: من أن العلم والدين توأمان في نظر الإسلام.

على أن الدين والعلم، ينبعان من أصل واحد.

فالدين الحق مصدره من الله، ونبعه الصافي من السماء.

والعلم الحق مصدره من الله، ومنبعه الصافي من السماء.

وإذا كان الأمر كذلك، فكيف يختلفان؟ وكذلك يشترك الدين والعلم في أمر آخر.

ذلك أن الدين فطرة الله التي فطر الناس عليها، ويكاد علماء الأديان يجمعون على أن الدين طبيعة أصيلة في الإنسان. ويجري في النفس البشرية مجرى غرائزه العميقة التي لا تزول.

وقد أجمع العلماء والدارسون للأديان أن البشرية من أقدم عصورها إلى يومنا هذا لم تتخل عن الدين ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾(١).

وكذلك العلم، فالإنسان مفطور على كشف المجهول، وما غريزة الاستطلاع التي يقولها علماء النفس إلا هذا المعنى.

فالبشرية منذ وجدت وهي تحاول كشف المجهولات، وإزاحة الاستار عن غوامض الطبيعة.

وما هذه المخترعات والمستحدثات، التي وجدت، والتي ستوجد، إلا وليدة هذه الغريزة. ومن هنا ترى أن العلم والدين توأمان سارا منذ بدء الخليقة، وإلى يوم القيامة، مع الإنسانية بخطين متوازيين لا يصطدمان، ولا يختلفان، وإنما يأخذ كلٌّ منهما بيد الآخر، ويؤيده ويعضده.

---

(١) سورة فاطر آية ٢٤.

ولهذا نقرر بكل وضوح ونناذي بكل صراحة، بأنك لن تجد شيئاً من مقررات الإسلام ومبادئه، سواء منها ما يتعلق بالعقيدة، أو يتعلق بالتشريع، لن تجد شيئاً، من ذلك يصطدم مع العقل السليم، أو مع العلم الحق أو النظريات العلمية أو اليقينية.

قال الإمام الشيخ محمد عبده (رحمه الله تعالى):

(تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض، اتفق أهل الملة الإسلامية، إلا قليلاً مما لا ينظر إليه، على أنه إذا تعارض العقل والنقل، أخذنا بما دل عليه العقل. والظاهر العكس وهو تقديم النقل والله أعلم

وبقي في النقل طريقان: طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه.

وطريق تأويل النقل، مع المحافظة على قوانين اللغة، حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل.

وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنّة، وعمل النبي ﷺ، مُهّدت بين يديّ العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات، واتسع له المجال، إلى غير حدّ. فماذا عساه أن يبلغ نظر الفيلسوف، حتى يذهب إلى ما هو أبعد من هذا؟ وأي فضاء يسع أهل النظر، وطلاب العلم، ان لم يسعهم هذا الفضاء؟

إن لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض، بجبالها، ووهادها، ولا سماء بأجرامها وأبعادها)[1].

أقـول:

---

(١) أنظر كتاب الإسلام دين العلم والمدنية ص ٩٨.

هذه هي نظرة الإسلام إلى العلم، انظر إلى أي مقام رفعه، وفي أي سماء وضعه لذلك قلنا فيما مضى. إنّك لن تجد ديناً رفع مكانة العلم والعلماء، وبوأهم المكانة العالية، والدرجة السامية، مثل ما فعل الإسلام.

والحقيقة التي نريد أن نقررها ونكررها، دائماً هي: أن الاصطدام الذي وقع بين العلم والدين، وأن الحروب الدامية التي وقعت بين العلماء ورجال الدين.

لم يكن شيء من ذلك في ميدان الإسلام، ولا في عصر من عصور المسلمين الزاهية.

وربما تعرضنا لهذا الموضوع بشرح أوفى إن شاء الله تعالى.

رأي الدكتور (بوكاي) في الموضوع

ولعل خير شهادة نختم بها هذا البحث، كلمة اقتبسناها من الكتاب العلمي الجليل الذي ألفه العالم الفرنسي الطبيب الجراح (موريس بوكاي) ترجمه **محمد العربي الخطابي** (الرباط)[1].

(إن الصلة بين الدين والعلم، لم تكن متشابهة في كل مكان وعصر. والواقع أن كتب الديانات التوحيدية تخلو كلها مما قد يحمل على أنه إدانة للعلم- غير أننا- من الوجهة العلمية نرى أن رجال العلم كانوا يخاصمون السلطات الروحية لبعض الديانات وان السلطات المسيحية المسؤولة لم تفتأ تقف من تطور العلم موقف المنازعة وذلك طوال قرون عديدة ومن غير أن يكون لها سند من نصوص الكتب السماوية الصحيحة.

(١) انظر مجلة (آفاق) السنة الثالثة عدد ١ سنة ١٩٧٧ ص ٥٤- ٦٦- بغداد

وقد اتخذت هذه السلطات في حق رجال العلم الذين كانوا يسعون في سبيل التقدم التدابير التي نعرفها فكانت تنفيهم من الأرض أو تحرقهم بالنار إذا لم يقبلوا دفع غرامة مع الرجوع في مواقفهم والتماس الغفران- وكثيراً ما يذكر في هذا المقام محاكمة **غاليلو** الذي اضطهد بسبب أخذه بمكتشفات كوبيرنك في مسألة دوران الأرض وقد صدر عليه الحكم استناداً إلى تأويلات خاطئة للتوراة والإنجيل.

أما الإسلام، فإن موقفه من العلم كان بصفة عامة. مغايراً لما سبق ذكره ولا أدل على ذلك من هذا الحديث النبوي المشهور (اطلبوا العلم ولو في الصين)[١] ومن الحديث الآخر الذي يقول:

(طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

ومن الحقائق الرئيسية: أن القرآن الذي يدعو دائماً إلى التزود بالعلم. يزخر بالعديد من التأملات حول الظواهر الطبيعية المشفوعة بتفاصيل توضيحية توافق تمام الموافقة معطيات العلم الحديث ولا شبيه لذلك في التوراة والانجيل.

وقد يكون من الخطأ الاعتقاد بأن بعض المسلمين لم يكن لهم في حقب التاريخ مواقف مختلفة عما ذكرناه. فالواقع أن واجب التعلم والتعليم قد أسيء فهمه في بعض العصور، وأن العالم الإسلامي قد استهدف كغيره لمحاولات ترمي إلى وقف تطور العلم ونحوه.

إلا أننا نذكر أن الجامعات العلمية الإسلامية قد شهدت في

---

(١) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان وقال ابن حبان: باطل لا أصل له. وحكم ابن الجوزي بوضعه. وقال النيسابوري والذهبي لم يصح فيه إسناد.

عصر عظمة الإسلام بين القرن السابع والقرن الثاني عشر الميلادي. طائفة من البحوث والمكتشفات في وقت كان فيه النمو العلمي في أقطارنا الغربية هدفاً للتضييق. وكانت تلك الجامعات الإسلامية تزخر بوسائل ثقافية هائلة، وكانت خزانة الخلفية في قرطبة تضم أربعمائة ألف مجلد.

وكان ابن رشد[١] يعلم في هذه المدينة التي كانت تنقل إليها علوم اليونان والهند وفارس. ولهذا كان الناس يقصدون قرطبة من مختلف أقطار أوروبا كما يتوجهون اليوم إلى الولايات المتحدة الاميركية للتضلع في بعض الدراسات. وما أكثر ما وصل إلينا عن طريق العرب من مخطوطات قديمة تحمل الثقافة إلى البلاد المفتوحة وما أكثر ما نحن مدينون به للفكر العربي في الرياضيات، والفلك، والفيزياء (البصريات) والجيولوجيا، والنبات والطب. وقد اكتسى العلم طابعاً دولياً لأول مرة في التاريخ وكان الناس في ذلك العصر متشبعين بالروح الدينية أكثر مما هم عليه في عصرنا هذا. ولم يكن ذلك ليمنعهم من أن يجمعوا بين الإيمان والعلم، وكان العلم توأم الدين. وما ينبغي له إلا أن يكون كذلك في كل زمان ومكان.

أما البلاد المسيحية فانها كانت تعيش أيام العصور الوسطى في ركود تام، ورضى مطلق بواقع الحال، فكان أن توقف العلم عن السير- ولم يكن ذلك بسبب الوحي اليهودي المسيحي في حد ذاته- بل بفعل أولئك الذين يزعمون أنهم خدمته، وقد كان رد الفعل

---

(١) هو القاضي أبو الوليد محمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشيد الحفيد الأندلسي المالكي له كتب منها تهافت التهافت وغيره وتوفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ.

الطبيعي عند العلماء بعد عصر الانبعاث هو أن يأخذوا بالثأر من خصومهم بالأمس، ومازالوا يثأرون منهم إلى أيامنا هذه، ذلك إلى حد أصبح معه الكلام عن الله في دول الغرب من قبيل السذاجة، وأحدث هذه الموقف أثره في عقول الشباب الذين يتلقون العلم في جامعاتنا، بما فيهم الشباب المسلمون)[١].

ولهذا البحث تتمة ذكرناها في القسم الآخر المسمى (التفسير العلمي للقرآن الكريم) وأطنبنا الحديث هناك[٢].

رأى الشيخ مصطفى الغلاييني[٣] (رحمه الله تعالى):

لقد تكلم أولاً أنه لا يمكن أن يتعارض الدين مع العلم، ولا العلم مع الدين، ذلك (لأن الدين: وضع إلّهي سائق لذوي العقول السليمة، إلى ما فيه خيرهم في دنياهم وآخرتهم.

والأكوان- التي هي موضوع العلم- أوضاع إلّهية..

فلا يتخالفان)[٤].

وقد نقل عن الإمام الغزالي (الدين: دواء. والعلم: غذاء. وليس الدواء يغني عن الغذاء، وليس الغذاء بمغنٍ عن الدواء)[٥].

---

(١) عالم فرنسي يدرس القرآن على ضوء المعارف العصرية من ص ٥٤- ٦٦ السنة الثالثة عدد ١ سنة ١٩٧٧. (من مجلة آفاق) العراقية.

(٢) لا يزال الكتاب المذكور مخطوطاً.

(٣) هو الشيخ مصطفى بن محمد سليم الغلاييني البيروتي منشىء مجلة النبراس ومدرّس العربية في المكتب السلطاني والكلية العثمانية ببيروت وله عدة مصنفات. وتوفي في بيروت سنة ١٣٦٤هـ معجم المطبوعات ص ١٤١٩.

(٤) من كتاب الدين والعلم، وهل ينافي الدين العلم؟ ص ٩- نشرته المكتبة الأهلية بيروت.

(٥) المصدر المذكور ص ١١.

(جاء الدين لحمل الناس بالبرهان على الاعتراف بوجود الخالق سبحانه، وتوحيده، وتقديسه عما لا يليق به عز وجل)[1].

(ولم يجىء لتقرير الحقائق العلمية، وشرح الأصول الفنية، لأن الدين عام ليشمل طبقات الأمة، فلا بد أن يكون موضوعه عاماً يسهل تناوله على الناس كافة.

وموضوع العلوم الطبيعية والفلكية وغيرها، مما لا تتناوله الأفهام كلها ولا تحيط به العقول كلها)[2].

(نعم جاء في الآيات إشارات إلى بعض المسائل الفلكية، والعلمية ولكن ليس القصد منها إثبات حقيقة أو نفي غيرها، وإنما الغاية منها الاستدلال على عظمة الصانع، وعظيم حكمته، وتنبيه الأفكار إلى تلك المسائل، ليغوص فيها من كان أهلاً لها، ويستخرج اللآلىء الكامنة في بحور هذه العوالم الناطقة وليعلم بأن لها موجداً أزلياً يسيّرها في نظام الحكمة، ويديرها على محور العلم الأزلي)[3].

ثم طرح سؤالاً: هل ينافي الدين العلم. وأجاب عليه إجابة قيمة. قال: (ليس في الدين ما ينافي العلم، ولا ما يناقض ما أثبته البرهان الساطع، وقام عليه الدليل القاطع، بل إنّ فيه إشارات تدعمه وتثبت رجحان ما ذهب إليه. ومن قال غير ذلك فما عليه إلاّ الدليل الذي لا يدحض، وإلاّ فالقول مردود على قائله)[4].

(العلوم بجملتها، آيات ناطقة، وبراهين واضحة، ودلائل

(١) المصدر المذكور ص ١٢.
(٢) المصدر المذكور ص ١٢.
(٣) المصدر المذكور ص ١٣.
(٤) المصدر المذكور.

شاهدة، تفصح بأبلغ بيان، على ما في هذه الأكوان من غريب الصنع، واتقان الخلق، وفي أحقر الأشياء - بله أعظمها - يرى الإنسان من المدهشات ما يحمله على طأطأة الرأس أمام مبدعها العظيم).

(إذا كان شأن العلوم ما ذكرنا، فهل يعقل أن يكون الدين الإلّهي مناقضاً لها، أو مناهضاً لمبادئها وغاياتها؟)[١].

ثم نقل الغلاييني (رحمه الله تعالى) ما جاء في كتاب (التربية) للفيلسوف الانكليزي **(هوبرت سبنسر)** قال:

(إن العلم الطبيعي لا يناقض الدين.. متى اتفق العلم والدين، نموا نمواً صحيحاً، فالدين ينمو بامتداد جذوره، وتغذية أصوله، في رياض العلم الصحيح. والعلم الصحيح يؤيد الدين، ويشد أزره، فيكون قوياً متيناً.. فمن ذا الذي يرى منافاة الدين للعلم؟

الا إن المنافي للدين هو ترك العلم، والجهل بما أحاط بنا من المخلوقات لذلك أكرر القول بأن مخالفة الدين ليست هي في دراسة العلم الطبيعي، بل هي في تركه، والانصراف عنه.

إلا أن التوجه للعلم الطبيعي عبادة صامتة، وتسبيح عملي، إنّ العلم الطبيعي موافق للدين، وهو مقوٍ له، ومؤيد من جهات كثيرة. انه يرى الإنسان عالماً منظماً، بحركات ثابتة جارية على نظام لا تتخطاه وناموس لا تتعداه. وهذا النظام يدل على قوة وراءه، العلم الطبيعي: يعرفنا سبب الكائنات معرفة صحيحة، ويعلمنا أن

---

(١) بتصرف من المصدر المذكور ص ١٤.

النتائج تتبع المقدمات وان المسببات، تتلو الأسباب.

العلم الطبيعي يعرفنا أن لنا حداً محدوداً لا نتعداه في العلم، فلا نتخطاه، إلى معرفة السبب الأول- صانع الكائنات- وحقيقته.

لكنه يهدينا إلى الحدود التي نقف دونها ولا نتجاوزها. إياك أن تظن أن العالم الطبيعي هو من يعرف التحليل الكيماوي أو يقرأ الهندسة، وإنما نعني به ذلك العالم، الذي يتخذ أسافل الحقائق سلماً لأعاليها، حتى يبلغ الحقيقة العليا. ومن ذا سواه يعرف الهوة السحيقة الفاصلة ما بين ذلك الصانع الحكيم- الذي جعل الطبيعة، والحياة، والعقل من مظاهر ذاته- وبين العقل الآدمي، والفكر الإنساني؟ إن الفرق لعظيم).

ونقل (سبنسر) في كتابه هذا ما قاله الاستاذ (هكسلي) وهو:

(ان العلم الطبيعي الصحيح، والدين الصحيح توأمان، إذا انفصل أحدهما من الآخر، خرّا صريعين، وماتا حتف أنفهما)[1].

ثم قال الشيخ الغلاييني:

(ليس بين العلم والدين ما يصح أن يسمى عداوة. وربما كان بين ما هو من الظنيات في الدين، وما هو من الظنيات في العلم، جدال ونضال.

أما بين ما هو قطعي في الدين، وما هو قطعي في العلم، فلا جدال ولا نضال، ولا تعادي ولا تناحر.

ظني الدين، وظني العلم، كلاهما ليس مبنياً على اليقين المقطوع

---

(١) الدين والعلم ص ١٦- ١٨.

بصحته. وإنما يكون بحسب الظاهر).

فالجدال بينهما: إنما هو في أمر لم يبلغ مبلغ اليقين الجازم).

ثم ذكر أن الناس ثلاثة أقسام: قسم لا يؤمن إلا بما جاء على لسان العلم غير مفرق بين ما هو قطعي أو ظني، وهؤلاء مقلدون وجهلة.

وقسم يكفر بآيات العلم، حتى ما كان منها عين اليقين، وإن لم يخالف شيء منها آيات الدين الحق. وهؤلاء أيضاً كسابقهم، جهلة يضرون الدين أكثر مما يضره أعداؤه.

أما القسم الثالث فهو (يؤمن بما يقوله العلم الصحيح الحق، ويؤمن بما جاء به الدين الحق، على لسان كتابه المنزل، ويعتقد أن ليس فيه من الآيات القطعية الدلالة، ما يتعارض مع قطعيات العلم، وما عارض من ظنيات العلم، ظنيات الدين، فاما أن نؤوّل ظنّي الدين، حتى ينساق مع ظني العلم، وإما أن نتمسك بظني الدين، من غير نكير على علماء الكون.

هذا ومن المعلوم بالبداهة: ان العلم لايزال وليداً يحبو، وان النظريات العلمية التي قالها عالم بالأمس، قد يطرأ عليها ما يزيلها عن مكانها العلمي، واننا كل يوم نسمع جديداً، ونرى جديداً.. مما يدل دلالة واضحة على عدم ثبات نظريات كثيرة، مما يظنها كثير من الناس، إنها غير قابلة للشك.

الخلاصـــة:

- وخلاصة القول ان القضايا ست:

١ - ما هو قطعي في الدين والعلم، فهذا لا جدال فيه.

٢ - ما هو ظني في العلم والدين، فمن علماء الدين من يتمسك بظني الدين. ومنهم من يتمسك بظني العلم، ويؤول ظني الدين.

٣ - ما هو قطعيّ في العلم، ظنيّ في الدين، فهذا نؤمن به، ونؤوّل ظني الدين.

٤ - ما هو ظنيّ في العلم، وقد سكت عنه الدين. فهذا نسلّم به.

٥ - ما هو قطعيّ في الدين، غير ثابت في العلم. فهذا نؤمن به إيماناً صادقاً، وإن لم يثبته العلم، لأن العلم لم يصل إلى الكشف عن كل شيء.

٦ - ما هو قطعي في الدين، ظني في العلم. فهذا نقطع بأنه واقع لا ريب فيه(١).

رأي الأستاذ يوسف مروة: قوانين الطبيعة هي كلمات الله

قال: (وإنني (كفيزيائي) استطعت أن أجمع إلى جانب ثقافتي العلمية ثقافة دينية لا بأس بها، أستطيع القول بعد غربة أكثر من عشر سنين قضيتها في رحاب معاهد الغرب ومؤسساته، أنني عدت إلى وطني، وأنا أشد المؤمنين بالله، وملائكته وأنبيائه، وأحداث القصص القرآني.

أجل أؤمن بكل ما ورد في القرآن وإيماني ليس عن عاطفة هوجاء، بل يرتكز على معطيات العلم الحديث، في أدق مباحثه، من ذرة، وفضاء، ونسبية، وأرى في الآيات القرآنية ما يؤيد ويدعم مواضيع العلم، العلم الحديث (والعكس صحيح): من تجزئة الذرة، وثنائية المادة والأشعة الكونية، وطبقات الجو، والضغط الجوي،

---

(١) بتصرف من المصدر المذكور، انظر كذلك الصفحات من ١٧ - ٢٨.

وتركيب الماء والهواء، ولغة الحشرات، وبصمات الأصابع، والكائنات المجهرية، وعدم فناء المادة، وغزو الفضاء، والذبذبات الصوتية، والنقل البعيد، والرؤية عن بعد (التلفزة) إلى غير ذلك من حقائق العلم).

(من هنا أفهم أن قوانين الطبيعة هي كلمات الله وأنظمته في الكون منذ بدء الخليقة)[١].

فهل كنّا مغالين، فيما قلنا إن الإسلام دين العلم، وان العلم والإسلام توئمان؟.

وهل تجاوزنا الحق، فيما ادعينا.. انه لم يأت دين ولا شرع بمثل ما أتى به الإسلام من الدعوة إلى العلم، وتعظيمة واكبار اهله، وفتح آفاق الكون، والنظر في السموات والأرض؟.

وسوف يقرر الزمن القريب ان الإسلام الذي دعا إلى العلم، سوف يتولى العلم بدوره الدعوة إلى الإسلام.

---

(١) من كتاب العلوم الطبيعية في القرآن ص ٨٦- ٧٠ منشورات مروة، الطبعة الأولى ١٣٨٧هـ- ١٩٦٨م- بيروت.

اقتبسنا هذا الفصل من كتابنا (التفسير العلمي للقرآن الكريم) وسيطبع قريباً إن شاء الله تعالى.

الفصـــل الثالـــث

- أثر الدين الإسلامي في نهضة العلم والعلماء -

لقد أجمع المؤرخون على ذلك الأثر العظيم الذي أحدثه الدين في نهضة الأمة العربية أولاً وفي نهضة غيرها ثانياً.

لقد بين الدين أنّ العلم أساس كل رقيّ، ومنبع كل حضارة، وسبب كل خير، وعلة كل فضيلة.

كما بيّن أنّ الجهل هو المعول الذي يدكّ الحضارات، ويفني المدنيات، ويزيل الأمم، ويورثها الذلة والمهانة.

لقد عرف المسلمون معنى قوله تعالى، **﴿هل قل يستوي الذين يعلمون، والذين لا يعلمون انما يتذاكر أولوا الألباب﴾**[1].

فتسابقوا إلى العلم، يلتهمونه التهاماً، وكان شوقهم إلى العلم، وإلى المعرفة، بجميع أنواعها، شوقاً حيّر العلماء والدارسين لحضارات الأمم.

لقد كان لجيوش المسلمين الفاتحة رسالتان:

الأولى: أن يبلّغوا الناس رسالة الإسلام، ويدخلوا إلى قلوبهم نور التوحيد، ونور الإيمان.

---

(١) سورة الزمر آية رقم (٩) الجزء الثالث والعشرون

الثانية: أن يأخذوا ويقتبسوا من تلك الأمم، ما عندها من معارف، وما عندها وما لديها من علوم.

لم تأخذهم العزة بالإثم، ولم يبطرهم ما هم فيه من قوة، ونصر، من أن يأخذوا من الأمم المغلوبة، ما عندها من المعارف، وأنواع الفنون، ذلك لأنها فقهت معنى قوله تعالى ﴿وقل ربي زدني علما﴾[1].

وقول رسوله (عليه السلام): (الحكمة ضالة المؤمن)[2].

ولهذا السرّ، استطاع المسلمون أن يحوزوا معارف الأمم، وأن يهضموا ما لديها من ثقافات.

فتجمعت لديهم، ما لم تتجمع لأمة قبلهم، من أنواع المعارف، وأصناف العلوم.

وفي مدة يسيرة مدهشة، كانت لديهم آداب الفرس ومعارفها، وعلوم الروم، وفلسفة اليونان، وحكمة الهند، إلى آخره...

وقد حملوا إلى عواصم الإسلام، آلاف الكتب، كما وفدت إليهم آلاف العلماء فترجمت هذه العلوم، وامتزجت هذه العقول بعضها مع بعض، وألّف الإسلام بين أشتات هذه الأمم، وصنوف هذه الشعوب المترامية.

ومن هذا المزيج العجيب، كانت الأمة الإسلامية التي تمخضت، فكان منها عباقرة الدنيا في كل علم وفن، وكان منها هذه المكتبة

---

(١) سوره طه آية رقم (١١٤) الجزء السادس عشر.

(٢) الحديث ضعيف في كل أسانيده على اختلاف رواياته/كشف الخفا رقم ١١٥٩ وقال الترمذي: غريب. اسنى المطالب ص ٩٧.

الضخمة، التي عاش العالم ومازال يعيش على موائدها.

ودعت أبحاثهم الواسعة، إلى تشعب العلوم وتفرعها، حتى زادت على (خمسمائة) علم.

ومنها ما لم يكن له وجود قبل الإسلام[1] وقد تعددت مؤلفاتهم حتى أصبحت تعد بألاف الألوف[2] ويستدل على كثرتها ما بقي من خبرها إلى القرن الحادي عشر للهجرة.

فقد بلغ عدد المؤلفات عدداً لا يحصى هذا غير الشروح والتعاليق. وغيرها مما ضاع خبره، منها في النكبات المتوالية، أثناء الفتن الداخلية وغيرها.

لقد ألفوا في التاريخ مثلاً كتباً لا تحصى، وما من أمة في العصر الحديث، بلغت في هذا العلم، ما بلغه المسلمون، فان الكتب الواردة في كشف الظنون فقط، تزيد على (١٢٠٠٠) كتاب غير الشروح والاختصارات وغير ما ضاع، وأهمل ذكره، وهو كثير جداً.

ولا ريب عندنا، أنّ الضائع من كتب المسلمين، بهذا العلم وحده يزيد على أضعاف الباقي، ومما يؤيد ذلك، أنّ بعض المؤلفين كالمسعودي[3]، والطبري[4]، وابن الأثير[5]، وغيره- ذكروا في مقدمات كتبهم من

---

(١) انظر كتاب مفتاح السعادة لطاشكبري زاده

(٢) انظر كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة.

(٣) المسعودي هو أبو الحسن بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي المؤرخ الشهير توفي سنة ٣٤٥ أو ٣٤٦هـ.

(٤) الطبري: هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن خالد الطبري الأصل علاّمة وقته وإمام عصره صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير توفي في بغداد سنة ٣١٠هـ. وفيات الأعيان ١ : ٥٧٧

(٥) ابن الأثير: هو أبو الحسن علي بن أبي مكرم الشيباني الملقب عز الدين. وله مصنفات =

أسماء المؤلفات، التي نقلوا كتبهم عنها وقلّما نجد اسماءها في الفهارس.

ومن المؤلفين المسلمين من بلغت مؤلفاته بضع مئات إلى الألف.

فمؤلفات (أبو عبيدة)[١] (٢٠٠) مؤلف، في علوم مختلفة، ومؤلفات ابن سريج[٢]، (٤٠٠) مؤلف، ومؤلفات ابن حزم[٣] (٤٠٠) مجلد، ومؤلفات الكنديّ[٤] (٢٣١) ومؤلفات القاضي الفاضل[٥] (١٠٠) كتاب.

وقس على ذلك، مؤلفات كثيرة من العلماء، في المواضيع المختلفة، كمؤلفات الرازي[٦]، والسيوطي[٧]، وابن سينا[٨].

= كثيرة منها الكامل وأسد الغابة وتوفي بالموصل سنة ٦٣٠هـ.

(١) أبو عبيدة: هو معمر بن المثنى التميمي بالولاء البصري أبو عبيدة النحوي من أئمة العلم بالأدب واللغة وله نحو ٢٠٠ مؤلف منها نقائض جرير والفرزدق. وكان أباضياً وتوفي في البصرة سنة ٢٠٩هـ وفيات الأعيان ٢: ١٠٥

(٢) ابن سريج: هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي فقيه الشافعية في عصره. له نحو ٤٠٠ مؤلف. وتوفي ببغداد سنة ٣٠٦هـ طبقات الشافعية ٢: ٨٧.

(٣) ابن حزم: هو أبو محمد علي بن سعيد بن حزم الظاهري الأندلسي أديب وشاعر وطبيب وقيل إن تآليفه بلغت نحو ٤٠٠ مجلد توفي سنة ٤٥٦هـ معجم الأدباء ٥: ٨٦

(٤) الكندي: هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب. عدّ ابن النديم كتب الكندي فكانت ٢٣٠ كتاباً وتوفي سنة ٢٤٦هـ.

(٥) القاضي الفاضل: هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي المعروف بالقاضي الفاضل. وزير من أئمة الكتاب. ولو جمعت رسائله وتعليقاته لم تقصر عن مائة مجلد وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ وفيات الأعيان ١: ٢٨٤.

(٦) الرازي: هو الإمام عبدالله محمد بن العمر بن الحسين الطبرستاني الرازي الملقب فخر الدين توفي سنة ٦٠٦هـ. وفيات الأعيان ١: ٦٠٠.

(٧) السيوطي: هو أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي الشافعي وتزيد مؤلفاته على ٥٠٠ مؤلف. وقال بروكلمان هي ٤١٥ وأما فلوغل فقال هي ٥٦٠ وأما جميل العظم فقال هي ٥٧٦. وتوفي السيوطي بالقاهرة سنة ٩١١هـ.

(٨) ابن سينا: هو الحسين بن عبدالله بن سينا الفيلسوف- الشيخ الرئيس- صاحب

وقد بلغت مؤلفات بعضهم ألف كتاب، (كعبدالله بن حبيب)[1] عالم الأندلس.

وقد ذكر أحمد زكي بك[2]، في كتابه عند ذكر الخلفاء الفاطمين وعنايتهم بالكتب، أنّه نقل كثير من كتبهم إلى مدينة (طرابلس الشام). وفي هذه المدينة الّفت تحت عناية القضاة من (آل عمار) جمعية علمية، مشهورة باسم (دار العلم) وأنشأت خزانة كتب من ثلاثة ملايين من المجلدات، وكان (لآل عمار) في هذه الخزانة (مائة) ناسخ، تجري عليهم الأرزاق، سنوياً.

وكانت ترسل إلى جميع الأقطار رجالاً ماهرين لابتياع أو استنساخ الكتب التي يجدونها.

وقد جمع السيد (جميل العظم)[3] كتاباً سماه (عقود الجوهر، في تراجم من لهم خمسون تأليفاً فمائة فأكثر) ذكر في أوّل الجزء منه، أربعين مؤلفاً، وعدد مؤلفات كل واحد منهم، فبلغت صفحات الجزء الأول (٣٤٠ ص).

وكان اشتغال المسلمين في بادىء الأمر، على سبيل التلخيص، أو

= التصانيف في الطب وغيره وكان من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين وتوفي بهمذان سنة ٤٢٨هـ. وفيات الأعيان ١: ١٥٢.

(١) عبدالله بن حبيب: هو أحمد بن محمد بن زياد اللخمي المقلب بالقاضي الحبيب وكان من قضاة قرطبة وتوفي سنة ٣١٢هـ.

(٢) أحمد زكي بك: هو أحمد زكي بن ابراهيم بن عبدالله شيخ العروبة: أديب بحّاثة مصري ومن كبار الكتاب وله مصنفات كثيرة وتوفي في القاهرة سنة ١٣٥٣هـ.

(٣) هو جميل بن مصطفى بن محمد حافظ بن عبدالله باشا العظم. أديب دمشقي. ومن أعضاء المجمع العلمي العربي وله اشتغال بالصحافة والتاريخ وله مصنفات كثيرة ومنها عقود الجوهر في تراجم من لهم خمسون مصنفاً فمائة فأكثر. وتوفي بدمشق سنة ١٣٥٢هـ/ معجم المطبعات العربية ص ١٣٤١.

الشرح أو التعليق، حتى إذا نضج تمدنهم، وانتشرت العلوم في البلاد، أخذ المسلمون في التأليف، من عند أنفسهم.

وبعد أن كانت العلوم في القرنين الأولين نقلية أصبحت في القرنين التاليين، وما بعدهما عقلية، وعمدتها النظر والقياس، والتحليل، والتركيب.

وكانت بغداد، كعبة العلم ومحج العلماء.

وفي كتب التاريخ ما يريك عجباً، بل لا يصدق الإنسان، ما في هذا الباب من المدهشات لهذه الهمة التي امتاز بها علماء الإسلام، على علماء الدنيا، تلك الهمة التي لا تعرف الكلل.

فقد أنشأوا المكاتب العظيمة، التي تنطق بكل بيان، بفضل ما عملت يد الإنسان المسلم.

المكتبــات

وعلى قلة الوسائط وضعف وسائل السفر، والتنقل، جمعوا من الكتب ما يثبت همة، تزري بهمة الغرب اليوم سواء منها المكتبات الخاصة، التي كان يملكها العلماء، أو المكتبات العامة التي كانت تملكها الدولة.

مكتبات بغداد:

لقد أنشأت الدولة العباسية مكتبة، في بغداد، أطلقوا عليها (بيت الحكمة).

أنشأها (الرشيد)[1] وجمع فيها من كتب الطب، والعلم، وما ألّف من العلوم الإسلامية، مع ما سعى (يحيى ابن خالد)[2] في جمعه من كتب الهند، وما وقع للرشيد من كتب الروم، في أنقرة وغيرها.

ولما تولى (المأمون)[3] وأنشأ مجالس الترجمة، جمع في (بيت الحكمة) كتب العلم في لغاتها، ومنها اليونانية والسريانية،

---

(١) هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور العباسي، أبو جعفر. كان خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق وأشهرهم وتوفي في (سناباذ) من قرى طوس سنة ١٩٣هـ.

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك أبو الفضل. وهو أول من عنى بتعريب المجسطي، فسره له جماعة فلم يتقنوه وفسّره بعدهم بعض أصحاب بيت الحكمة وتوفي سنة ١٩٠هـ.

(٣) هو عبدالله بن هارون الرشيد. سابع الخلفاء العباسيين في العراق. أتحف ملوك الروم بالهدايا سائلاً أن يصلوه بما لديهم من كتب الفلاسفة فبعثوا إليه بعدد كبير =

والفارسية، والهندية، والقبطية فضلاً عن العربية.

وعلم الناس رغبته في ذلك، فأتوه بالكتب على اختلاف مواضيعها، وأشكال خطوطها.

وكان (بيت الحكمة) عبارة عن مجالس للترجمة والنسخ والدرس، والتأليف، فيجلس النسّاخ مجالس خاصة بهم، ينسخون لأنفسهم أو بأجور معينة، وكذلك المترجمون والمؤلفون، والمطالعون.

ثمّ أنشأ البغداديون المكاتب، على مثال (دار الحكمة) وأشهرها مكتبة أوقفها (سابور)[1] وزير (بهاء الدولة)[2] في محلة بين (الشورين) في الكرخ[3] سنة ٣٠١هـ وجعل فيها أكثر من (عشرة آلاف) مجلد كلها بخطوط الأئمة المعتبرة، وكان المؤلفون يوقفون عليها نسخاً من مؤلفاتهم.

مكتبات الأندلس:

وكان (المأمون) مثالاً حسناً في انشاء المكاتب بالممالك الإسلامية، كما كان مثالاً في سائر أسباب النهضة العلمية، فاقتدى به بنو أمية بالأندلس وأشبههم به (الحكم بن المستنصر) الذي تولى الخلافة سنة

= من كتب أفلاطون وأرسطو وأبو قراط فترجمت وقامت دولة الحكمة في أيامه. توفي سنة ٢١٨هـ.

(١) سابور بن أردشير، ابو نصر ولد بشيراز سنة ٣٣٦ وتوفي في بغداد ٤١٦ انظر معجم الانساب للأسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي تأليف (زامباور) ص ٣٢٥، وانظر كذلك ابن خلكان ج ١ ص ٢٠٠

(٢) هو منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الأزدي ابو كامل بهاء الدولة، أمير الحلة وبادية العراق توفي سنة ٤٧٩هـ. الكامل لابن الأثير ١٠:٥١

(٣) الكرخ: من بغدادِ، وهو اسم نبطي وهي مدينة صغيرة عامرة بشرقي دجلة وهي من الجانب الغربي من بغداد ومعروف الكرخي الزاهد من هذا الموضع [الروض المعطار]

(٣٥٠هـ)[١] وكان محباً للعلوم مكرماً لأهلها جمّاعاً للكتب على أنواعها مما لم يجمعه أحد من الملوك قبله، فأنشأ في قرطبة مكتبة جمع إليها الكتب من أنحاء العالم، فكان يبعث في شرائها رجالاً من التجار ومعهم الأموال ويحرضهم على البذل في سبيلها لينافس (بني العباس) في الكتب وتقريب الكتّاب.

وكان (أبو الفرج الأصفهاني)[٢] صاحب كتاب الأغاني معاصراً له وهو أموي مثله، فبعث إليه ليرسل إليه كتاب الأغاني قبل إخراجه (لبني العباس) وبذل له على ذلك (ألف دينار ذهبي).

وفعل ذلك مع القاضي أبي بكر الأبهري[٣]، في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم[٤] وغيره. فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الإسلام، فجعلوها في قاعة خاصة من قصر قرطبة[٥] وأقاموا عليها مديراً ومشرفاً ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة.

وذكروا في فهارس الدواوين وحدها (٤٤) فهرساً في كل فهرس عشرون ورقة فإذا قدرنا للصفحة (٢٥) اسماً فقد كان مجموع عدد الدواوين (٤٤٠٠٠ ألف كتاب) فكيف بسائر الكتب.

(١) هو أبو مطرف الحكم (الثاني) المستنصر بن عبد الرحمن المتوفى، في صفر ٣٦٦هـ.

(٢) هو علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني القرشي، أبو الفرج. من أئمة الأدب. ومن أشهر كتبه الأغاني الذي لم يؤلف مثله في بابه. وتوفي سنة ٣٥٦هـ وفيات الأعيان ١: ٣٣٤

(٣) هو محمد بن عبدالله بن محمد بن صالح أبو بكر التميمي الأبهري شيخ المالكية في العراق من آثاره شرح مختصر ابن الحكم وتوفي سنة ٣٧٥هـ تاريخ بغداد ٥: ٤٦٢

(٤) هو عبدالله بن عبد الحكم بن اعين بن ليث المصري (أبو محمد) فقيه مؤرخ من آثاره المختصر الكبير توفي ٢١٤هـ شذرات الذهب ٢: ٣٤

(٥) هي قاعدة الأندلس وام مدائنها ومستقر خلافة الأمويين بها. وكان فيها أعلام العلماء.
[الروض المعطار]

ولا نكون مبالغين إذا سلمنا مع (ابن خلدون)[1] و (المقرّي)[2]. أن مجموع ما حوته تلك الكتب (٤٠٠,٠٠٠) مجلداً.

واقتدى (بالحكم)[3] رجال دولته، وعظام مملكته، وأنشأوا المكتبات في سائر بلاد الأندلس[4]، حتى قالوا: إن غرناطة[5] وحدها كان فيها (سبعون مكتبة) من المكتبات العمومية. وأصبح حب الكتب في الأندلس سجية في أهلها، وصار اقتناؤها من علامات الوجاهة، والرئاسة، عندهم..

مكتبات مصر

واقتدى بخلفاء بغداد، والأندلس، الخلفاء الفاطميون، بمصر.

بدأ بذلك منهم (العزيز بالله)[6] ثاني خلفائهم تولى الخلافة سنة

---

(١) هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون التونسي الحضرمي الأشبيلي المالكي له كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر والمقدمة. توفي في القاهرة سنة ٨٠٨هـ / شذرات الذهب ٤: ٨٣.

(٢) هو الشيخ أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقرّي التلمساني المولد المالكي الأشعري، حافظ المغرب وكان آية باهرة في علم الكلام والتفسير والحديث. وأشهر مؤلفاته نفح الطيب وتوفي بمصر سنة ١٠٤١هـ خلاصة الأثر ١: ٣٠٢- ٣١١.

(٣) هو الحكم بن المستنصر.

(٤) هذه الجزيرة في آخر الاقليم الرابع إلى المغرب. وإسم الأندلس في اللغة اليونانية اشبانيا والأندلس آخر المعمور في المغرب. وكانت الأندلس دار جهاد وموطن رباط.

(٥) ويقال لها أيضاً (اغرناطة). وهي مدينة بالأندلس. وتعرف باغرناطة اليهود لأن نازلتها كانوا يهوداً. [الروض المعطار]

(٦) هو (العزيز بالله) بن معد (المعز لدين الله) ابن المنصور العبيدي الفاطمي أبو منصور. صاحب مصر والمغرب بويع للخلافة سنة ٣٦٥هـ وتوفي في بلبيس سنة ٣٨٦هـ. وفيات الأعيان ٢: ١٥٢.

٣٦٥هـ وهو شاب، فاستوزر (يعقوب بن كلس)[١] وكان (يعقوب) مديراً ومحباً للعلم فرتب له الدواوين، وقرّب إليه العلماء، على اختلاف طبقاتهم، وأجرى لهم الأرزاق، وحبب إلى الخليفة اقتناء الكتب، فجمع منها جانباً كبيراً خصص لها قاعات في قصره، وسماها (خزائن الكتب) وكان فيها من القرآن بخطوط منسوبة، محلاّه بالذهب (٣٤٠٠ ختمة).

فلا عجب: إذا قالوا: إنها كانت تحوي على مليون وستمائة ألف كتاب-

دار الحكمة وتسمى دار العلم، وهي غير خزانة (العزيز) أو خزائن القصور.

أنشأها (الحاكم بأمر الله)[٢] (ابن العزيز بالله) سنة ٣٩٥هـ بجوار القصر الغربي بالقاهرة، والغرض من دار الحكمة مثل الغرض من بيت الحكمة، الذي أنشأه العباسيون، أي خدمة الناس في الدرس والمطالعة، والتأليف.

وهي طريقة القدماء، في تعليم النّاس إذ يتعذر على غير الأغنياء، اقتناء الكتب الكثيرة، نظراً لغلائها، فمن أحب تعليم رعيته، أنشأ مكتبة.

وقد عدّ بعضهم (دار الحكمة) هذه مدرسة لأن (الحاكم) أقام بها

(١) هو يعقوب بن يوسف بن إبراهيم بن هارون بن كلس أبو الفرج. توفي بالقاهرة سنة ٣٨٠هـ وفيات الأعيان ٢: ٣٣٣

(٢) هو منصور (الحاكم بأمر الله) بن نزار (العزيز بالله) ابن اسماعيل بن محمد بن العبيدي الفاطمي، أبو علي متأله غريب الأطوار من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر قتل في القاهرة سنة ٤١١هـ. الخطط المقريزي ٢: ٢٥٨- ٢٨٩.

القّراء وأصحاب النحو، واللغة، والأطباء وأجرى لهم الأرزاق، وأباح الدخول، إليها لسائر الناس، على اختلاف طبقاتهم، من محبي المطالعة، ليقرأوا، وينسخوا، ما شاؤوا، وجعل فيها ما يحتاجون إليه، من الحبر، والأقلام، والأوراق.

وكان (الحاكم)[1] يستحضر بعض العلماء للدار المذكورة، إلى ما بين يديه، ويأمرهم بالمناظرة، كما كان يفعل المأمون، ويخلع عليهم الخلع.

وكان عدد كتب المدرسة المذكورة، لا يقل (١٠٠,٠٠٠) ألف كتاب.

مكتبات الشام

اشتهرت في عهد الدولة الفاطمية، مكتبة كانت في (طرابلس الشام)، حتى فتحها الافرنج سنة (٥٠٢هـ).. فانتهبوها[2].

وذكر (جين) أنّ عدد كتبها، ثلاثة ملايين مجلداً، أحرقها الإفرنج. فلما تولى (نور الدين)[3] الشام، وأنشأ المدارس في مدائنها، جعل فيها خزائن الكتب وتعرف بالخزائن (النورية) وهكذا فعل صلاح الدين الأيّوبي[4]. (رحمهم الله تعالى).

---

(١) هو الحاكم بأمر الله.

(٢) معجم ياقوت ٦- ٥ جـ

(٣) هو السلطان نور الدين [حاكم الشام]. هو محمود بن زنكي (عماد الدين) ابن اقسنقر، أبو القاسم نور الدين، الملقب بالملك العادل، ملك الشام وديار الجزيرة ومصر. وكان من المماليك. توفي بدمشق سنة ٥٦٩ هـ.

(٤) هو يوسف بن أيوب بن شاذي أبو المظفر، صلاح الدين الأيوبي المقلب: الملك الناصر. من أشهر ملوك الإسلام وتوفي بدمشق سنة ٥٨٩هـ وفيات الأعيان ٢ :٣٧٦.

مكتبـات أخـــرى

أما خرسان[١] فقد كانت بلاد علم وأدب لما علم من انشاء المدارس فيها، قبل سائر بلاد الإسلام. وأما مكاتبها فقد ذكر **(ياقوت)**[٢] في معجمه أنه ترك **(مرو)**[٣] يومئذ، سنة (٦١٦هـ) وفيها عشر خزائن للوقف لم ير في الدنيا مثلها كثرة وجودة.

وقد فصّل أخبارها وأخبار واقفيها، وذكر أن واحدة منها، كان فيها (١٢٠٠٠) مجلداً وانه اخذ علمه، منها.

ما وراء النهر: فقد ذكروا في **بخارى**[٤] مكتبة اشتهرت باقتباس (ابن سينا) منها وكانت **(لنوح ابن منصور)**[٥] سلطان بخاري.

---

(١) خراسان: وكانت تسمى في القديم بلد اشرينه، ومعنى خراسان بالفارسية مطلع الشمس. وخراسان من فارس وعلى هذا يؤول حديث النبي ﷺ «لو كان العلم بالثريا لناله رجال من فارس» انه عنى أهل خراسان. وتجد هذه الصفة نفسها في خراسان.

[الروض المعطار]

(٢) هو أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي الجنس الحموي- شهاب الدين. له معجم الأدباء ومعجم البلدان. توفي بحلب سنة ٦٢٦هـ. وفيات الأعيان ٢: ٢٧٧.

(٣) مرو: من خراسان وتسمى أم خراسان والمرو بالفارسية المرح. وإذا أطلقوا ارمو فإنما يعنون مرو الشاهجان والنسبة إليها مروزي وهو من شاذ النسب.

[الروض المعطار]

(٤) بخاري: من بلاد خراسان. وفتح بخارى سعيد بن عثمان بن عفان في زمن معاوية ومنها الإمام البخاري.

[الروض المعطار]

(٥) هو نوح بن منصور بن نوح بن نصر الساماني، أبو القاسم ويلقب بالرضى: أمير ما وراء النهر. مولده ووفاته في بخاري توفي سنة ٣٨٧هـ. اللباب ١: ٥٢٣.

قال الشيخ الرئيس: (رأيت فيها من الكتب ما لم يقع اسمه إلى كثير من الناس وما كنت رأيته من قبل).. الخ.

وأنشأ (هولاكو) التتري[1]: (لنصير الدين الطوسي)[2] في (مراغة)[3] مكتبة فيها (٤٠٠,٠٠٠) ألف مجلداً، مما نهبه التتر، من بغداد، والشام، والجزيرة.

المكتبات الخاصة

وقد ذكر المؤرخون، أسماء المكاتب الخاصة، التي كان العلماء يقتنونها لأنفسهم، وهي كثيرة وعظيمة، لا تكاد تعد.

منها مكتبة (الصاحب ابن عباد)[4] كانت تنقل على أربعة مائة جمل.

ومنها مكتبة (خلف[5] افرايم الطبيب المصري) وفيها (٢٠,٠٠٠) ألف مجلداً.

---

(١) ذكر صاحب النجوم الزاهرة بأن وفاة هولاكو سنة ٦٦٤هـ وقيل اسمه هولاوون وقيل هولاو بن هولي خان بن جنكيزخان المغلي التركي النجوم الزاهرة ج ٧: ٢٢٠.

(٢) هو نصير الدين أبو جعفر محمد بن محمد بن الحسن الطوسي الشيعي الفيلسوف ويعرف بالخواجة نصير الدين الطوسي وتوفي في بغداد سنة ٦٧٢هـ. روضات الجنات ٦٠٥.

(٣) مراغة: وتقع في بلاد أذربيجان.
[الروض المعطار]

(٤) هو اسماعيل بن عباد بن العباس، أبو القاسم الطالقاني وزير غلب عليه الأدب، استوزره مؤيد الدولة ابن بويه الديلمي ولقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة في صباه. وتوفي بالري سنة ٣٨٥هـ وفيات الأعيان ١: ٧٥.

(٥) هو خلف الطولوني أبو علي طبيب إمتاز بعلم امراض العين توفي سنة ٣١٠هـ طبقات الأطباء ٢: ٨٥

ولما مات (موفق الدين)[1] كان في خزانته عشرة آلاف مجلد. وكان له ثلاثة نساخ يكتبون.

وكان في خزانة (أمين الدولة)[2] عشرون ألف مجلد.

وهناك مكتبات، لكثيرين من المشهورين، وغيرهم (كالفتح ابن خاقان)[3] و (ابن القفطي)[4] وغيرهما.

هذا بعض ما أفاد الدين الإسلامي العالمين به.

وهذا بعض تأثيره في أتباعه، ونصرائه. فبعد أن كان الرجل منهم يفتخر بأنه قارىء وكاتب، صار من جملة أعماله تشييد أضخم المدارس، والمكتبات، وبهذه الأعمال الجليلة، وصلوا إلى درجة من العز، والملك، أخضعت ملوك الأرض، وانقادت لهم الدنيا وأخذ عنهم الغرب، العلوم، والمعارف التي بنوا عليها المدنية الحاضرة[5].

---

(١) هو عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي موفق الدين. من فلاسفة الإسلام وأحد العلماء المكثرين من التصنيف توفي سنة ٦٢٩هـ فوات الوفيات ٢: ٧٠

(٢) امين الدولة هو أبو محمد الحسن بن عمار بن أبي الحسين، تولى الوزارة الفاطمية سنة ٣٨٥هـ اهـ. معجم الأنساب والاسرات الحاكمة ص ١٤٨

(٣) هو الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج أبو محمد أديب شاعر وهو فارسي الأصل اتخذه المتوكل العباسي أخاً له واستوزره واجتمعت له خزانة كتب حافلة من أعظم الخزائن وقتل مع المتوكل سنة ٢٤٧هـ. فوات الوفيات ٢: ١٢٣.

(٤) هو علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي أبو الحسن جمال الدين وزير مؤرخ وكان جماعاً للكتب تساوي مكتبة خمسين ألف دينار ولا يحب من الدنيا سواها وتوفي بحلب سنة ٦٤٦هـ [فوات الوفيات ٢: ٩٦]

(٥) اقتبسنا بعض هذا النقل من كتاب صديقنا (الشيخ عبد الفتاح الإمام) رحمه الله تعالى (كتاب الإسلام والعلم) ص ٣ - ص ٩. بتصرف وزيادات.

مصيـر هـذه المكـتبـات

لقد ذكرنا لك فيما مضى، الشيء اليسير، عن أثر الدين، في النهضة العلمية، التي بلغت أوجها، سواء من ناحية كثرة العلماء، أو نبوغهم، أو تخصصاتهم، أو من ناحية المؤلفات، والترجمات، من رسائل وكتب، وموسعات، ومن عناية الأمة الإسلامية، باقتناء الكتب، ومحبة العلم، والرحلة في طلبه، وما أنشأته هذه الأمة، من مكتبات، سواء منها ما كان من الدولة: حكّاماً، أو ملوكاً وامراء، أو ما أنشأه الخاصة، والعامة، من العلماء، والوجهاء، وغيرهم.

ولقد ذكر المؤرخون، ان كثيراً من عامة الناس، ممن كانوا لا يحسبون من طلاب العلم، لا من قريب، ولا من بعيد، كانوا يجمعون الكتب وينشؤون في بيوتهم خزائن، خاصة لها، للمباهاة والمفاخرة.

لقد بلغت هذه المكتبات، في أعدادها وكثرتها، حدّ الخيال.

ومهما حاولنا في تهذيب هذه الأعداد وتقليلها، فانها تبقى معجزة، في التاريخ الحضاري، لأمة الإسلام.

ولعلك، تسأل، عن مصير هذه الجبال، أين ذهبت، وعن مصير هذا التراث، ماذا فعلت به الأقدار بل ماذا فعلت به أيدي الجهلة، من أولئك الخلف، الذين ورثوا هذا المجد العظيم، وأضاعوه مع ما أضاعوه من ملك، وسلطان، وعزّ، ومجد.

مصير هذه المكتبات: (بعد هذا الماضي التليد، والتاريخ الحافل، والحياة العريضة الفاخرة، التي سجلتها المكتبات الإسلامية، نهبت هذه المؤسسات العلمية، وزالت من الوجود.

وكان ذلك لعاملين: أحدهما داخلي، والآخر خارجي.

فالأول: فهو ما اعترى العالم الإسلامي، من تفكك، وتفتت، وما أصابه من أنواع المحن، والثورات، والحكام الجهلة، وما أصاب المسلمين، من جمود وتأخر.

العامل الثاني: فيتمثل في الغزو (**المغولي**) والغزو (**الصليبي**).

لقد تعرض العالم الإسلامي، خلال القرون الأربعة الميلادية، الثاني عشر، والثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، لهجمات منظمة مستمرة، من الغرب والشرق، لقصد تخريبه، واجتياح أراضيه، فقد بدأ (**المغول**) هجومهم على العالم الإسلامي، منذ أوائل القرن الثاني عشر، حاملين معهم الدمار، والخراب.

دخلوا (**بخارى**) وهي مدينة مزدهرة، عدد سكانها يزيد على أربعمائة ألف إنسان. وعندما تركوها، تركوها أنقاضاً لا حياة فيها، سوّيت بالأرض، بعد أن نهبت ذخائرها، وقتل رجالها. وهكذا كان مصير كل بلدة دخلوها.

وكان نصيب المكتبات، من الخراب والدمار نصيباً كبيراً.

فالمغول، قد دمّروا المكتبات الرائعة الفخمة العشرة التي ذكرها ياقوت، والتي كانت موجودة، في (مرو)، وهكذا فعلوا في جميع البلدان الأخرى.

وقد أصاب (**بغداد**) من هؤلاء الهمج، ما لم يصب غيرها من البلدان، من: تدمير، وحرق، وقتل، حتى قتلوا (ثمانمئة ألف) نفس، وأحرقوا كتب العلم، التي كانت فيها، والتي لم يكن لها مثيل في الدنيا.

قال **ابن خلدون**: ألقيت كتب العلم بدجلة.

وذكر محمد كرد علي[1]: ان (**هولاكو**) بنى بكتب العلماء اصطبلات الخيول، وقيل: أن ماء دجلة، تغير لونه، لكثرة ما ألقى فيها (التتار) من الكتب والأوراق.

قيل: انه أقام بكتب العلم ثلاثة جسور على دجلة.

هذا بالإضافة إلى ما حصل من النهب والسرقة.

وقد كان ذلك خسارة للثقافة، والمعرفة، والحضارة الإسلامية خاصة والمعرفة والحضارة الإنسانية عامة، لا تعوّض.

كذلك تعرّض العالم الإسلامي، من الغرب لهجمات، لئيمة أراد استئصال جذوره، والقضاء عليه، وعلى حضارته.

فالحروب الصليبية، التي استمرت قرنين، (١٠٩٦- إلى سنة ١٢٩١م) قد دمرت قسماً كبيراً، من العالم الإسلامي، ومن جملة ذلك، المكتبات.

وأشرس هذه الحملات، ما كان من انهاء وجود المسلمين، في الأندلس، ففي سنة ١٥٠٤م حاول رئيس أساقفة (غرناطة) أن يمنع **استعمال الكتب العربية، في مختلف العلوم الإنسانية، فأمر** بإحراقها.

ثم تولى **الكرندينال (كسّين ميس)** سنة (١٥١١) م فأصدر أمره، بجمع جميع الكتب العربية، ولاسيما المصاحف، فاحرقها وقد قدّر

---

(١) هو محمد بن عبد الرزاق بن محمد بن محمد كرد علي. صاحب مجلة المقتبس ورئيس المجمع العلمي العربي بدمشق سابقاً. له مؤلفات كثيرة منها خطط الشام وامراء البيان. وتوفي سنة ١٣٧٢هـ.

العلماء ما أحرق من الكتب، (بمليون وسبعين ألف).

وفي زمن (فيليب الثاني) (أواخر القرن السادس عشر م) جمع بعض الكتب ووضعها في قصر (الاسكوريال) القريب من العاصمة (مدريد) ولا يتجاوز عدد هذه المخطوطات، أربعة (ألاف مجلد).

وللحقيقة والتاريخ، أن حقد أوروبا، على المسلمين، وحضارتهم وتراثهم، ظل كما هو لم يتغير، ولم تزده كر العصور، إلا اضطراماً، واستمر إحراق الكتب، العربية، حتى القرن (التاسع عشر) و (العشرين).

فالإفرنسيون أحرقوا كل الكتب، التي وجدوها في (قسطنطينية)[1] في شمال افريقيا.

ومنظمة التحرير الفرنسية، التي تألفت في الجزائر قبيل استقلالها أحرقت مكتبة (جامعة الجزائر) المحتوية، على أكثر من (نصف مليون) كتاب، فقد تم هذا في النصف الثاني، من القرن العشرين..

ولما بدأ الغرب،(غاراته) على العالم الإسلامي، بدأ يسطو على كنوزها، وخاصة على المخطوطات العربية، ومكاتب الغرب اليوم، تزخر بروائع تراثنا المخطوط، وهي تشكل أجود، وأثمن، وأجمل محتويات تلك المكتبات من مخطوطات[2].

---

(١) قسطنطينية: ويقال لها قسنطينة وهي من مشاهير بلاد افريقية بين تيجس وميله، وهي مدينة أولية كبيرة آهلة فيها آثار للأول. [الروض المعطار].

(٢) انظر هذا البحث في الكتاب النفيس(المكتبات في الإسلام)تأليف محمد ماهر حمادة ص ٢٠٣ إلى ص ٢٠٧.

المـــدارس

جاء في رحلة (ابن جبير)[1] الذي طاف الشرق الإسلامي، في القرن (السادس) أنه شاهد عشرين مدرسة، في دمشق، وثلاثين مدرسة، في بغداد.

أما الأندلس، فإن العرب أنشأوا المدارس، في قرطبة، **واشبيلية**[2]، **وطليطله**[3]، وغرناطة، **ومالقة**[4]، وغيرها. وأن غرناطة وحدها، بلغ عدد مدارسها، (٩٧) مدرسة، كبرى. و (١٢٠) مدرسة صغرى.

والمدارس في الاسلام، على أشكال: منها حلقات جوامع، والربط والزوايا، ومنها المدارس المجانية الكبرى، للعلوم الإسلامية، والمارستانات، للطب، والفلسفة. هذا غير ما يعقده العلماء، من (مجالس التعليم) في منازلهم.

فكان يجتمع في حلقة (الفارابي)[5] مئات من (المئمين، من

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن جير الكناني الأندلسي البلنسي له كتاب رحلة ابن جبير أو الرحلة إلى المشرق. توفي بالاسكندرية سنة ٦١٤هـ.

(٢) اشبيلية: مدينة بالأندلس وهي قديمة فيها آثار للأول كثيرة (الروض المعطار].

(٣) طليطلة: بالأندلس وهي مركز لجميع بلاد الأندلس وكانت دار الملك بالأندلس حين دخلها طارق. وكذلك كانت دار مملكة الروم [الروض المعطار].

(٤) مالقة: بالأندلس، مدينة على شاطىء البحر، عليها سور صخر والبحر من قبليها (الروض المعطار).

(٥) هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التركي الحكيم المشهور. أكبر =

الطلبة) ولقد يكون للأستاذ تلامذة، تحتهم تلامذة، ذكروا أن (أبا بكر الرازي)[٦] الشهير كان يجلس في مجلسه، ودونه التلاميذ، ودونهم تلاميذهم ودونهم تلاميذ أخر.

وكان الإمام (فخر الدين)[٧] خطيب الريّ إذا ركب، مشى معه (٣٠٠) تلميذ من الفقهاء.

وبالجملة فانه لا يمكن استقصاء، ما كان بالمسلمين من العناية بالمدارس.

وقد ألف العلامة (محي الدين النعيمي)[٨] في كتابه المسمى (تنبيه الطالب وإرشاد الدارس)[٩] الذي ألفه، لبيان ما كان في (دمشق) من المدارس، والجوامع، والمارستانات، في مجلدين ضخمين.

ولا بد أن نشير، إلى ما أوقفه سلاطين المسلمين واثرياؤهم من أوقاف ضخمة، للنفقة، على أهل العلم، وطلاّب المدارس.

= فلاسفة المسلمين له مصنفات كثيرة منها آثار أهل المدينة الفاضلة وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ. وفيات الأعيان ٢: ١٠٠

(٦) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المكنى جالينوس العرب. وطبيب المسلمين. توفي سنة ٣٢٠هـ عيون الأنباء ١: ٣٠٣.

(٧) هو الإمام أبو عبدالله محمد بن العمر بن الحسين بن حسن بن علي التميمي البكري الطبرستاني الرازي الملقب فخر الدين: اشتهر بتفسيره وتوفي سنة ٦٠٦هـ. وفيات الأعيان ١: ٦٠٠.

(٨) هو محي الدين أبو المفاخر عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن يوسف ابن عبدالله بن نعيم. اشتهر بعلم الحديث وتوفي بالشام سنة ٩٢٧هـ.

(٩) حقق هذا الكتاب جعفر الحسني وطبعه المجمع العلمي بدمشق وتعددت تسميات هذا الكتاب فذكره كل من أصحاب شذرات الذهب والكواكب الدرية باسم الدارس في تواريخ المدارس وسماه حاجي خليفة تحت: تنبيه الطالب وإرشاد الدارس.

الفصل الرابع

أثر الحضارة الإسلامية على الغرب

قال المسيو (رينان) في كتابه (دين الإسلام والعلم.)

(ومن سنة (١٠٣٠ إلى ١١٥٠) من الميلاد، أرسلت إلى **(طليطلة)** جمعية مترجمين، من أهل النشاط، تحت رئاسة المطران **(ريموند)** لترجمة كتب العلم العربية، المهمة إلى اللغة اللاتينية.

وفي ابتداء (القرن الثالث عشر) درست مؤلفات **(أرسطو)**[١] المترجمة، عن العربية، في جامعة (باريس).

وخرج الغرب من الجهل، الذي كان عليه، منذ خمسمائة عام.

ولغاية هذا التاريخ كنا نحن أهالي (أوروبا) تلامذة للمسلمين).

قال الإمام **محمد عبده**، في كتابه الإسلام والنصرانية (ص ١٠٠):

(جميع المدارس، في البلاد الإسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية، من مدرسة الطب في القاهرة، وكان من أشد النظامات، وأدقها).

---

(١) هو ابن نقوماخوس الفيثاغوري تلميذ افلاطون ومعلم الاسكندرية فليبس ملك مقدونية وبسبب ارسطوطاليس كثرت الفلسفة وغيرها من العلوم القديمة في البلاد الإسلامية. هو من أشهر فلاسفة اليونان. مفتاح السعادة ١: ٢٥٨.

أول مدرسة طبية، أنشأت في قارة أوروبا على هذا النظام، المحكم هي التي، أنشأها العرب في (ساليرو) من بلاد إيطاليا وأول مرصد فلكي أقيم في أوروبا هو الذي أقامه العرب، في (اشبيلية) في بلاد اسبانيا.

ولقد نقل (غوستاف لوبون)(١) عن أحد فلاسفةالأوربيين، أن القاعدة عند العرب: هي جرب، وشاهد، ولاحظ، تكن عارفاً.

وعند الأوروبي إلى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي:-

إقرأ في الكتب، وكرّر ما يقول الأساتذة، تكن عالماً..

قال (دبلامير) في تاريخ علم الهيئة: إذا عددت في (اليونانيين) اثنين، أو ثلاثة من الراصدين، امكنك أن تعد من العرب عدداً كبيراً، غير محصور.

أمّا في الكيمياء، فلا يمكنك أن تعد مجرباً واحداً، عند اليونانيين، ولكنك تعدّ من المجربين، مئات عند العرب.

والعرب أول، من استعمل الساعات الدقاقة، للدلالة على أقسام أهم الزمن. وهم أول من أتقن الساعات، الزوالية لهذا الغرض، وقد كشفوا قوانين، ثقل الأجسام، جامدها، ومائعها، حتى وضعوا لها جداول في غاية، من الدقة، والصحة، كما وضعوا جداول للأرضاد الفلكية.

---

(١) ألف غوستاف لوبون كتابه العظيم حضارة العرب عام ١٨٨٤م وترجمه إلى العربية عادل زعيتر وخرج الكتاب بطبعتين الأولى عام ١٩٤٥م والثانية عام ١٩٤٨م.

ولا يمكن عدّ ما أكتشفه العرب، ولا ما زادوا في العلوم، على اختلاف أنواعها، فذلك يحتاج إلى سفر كبير. اهـ.

قال أحد الفلاسفة الغربيين: إن العلوم التي تلقاها العرب، من اليونانيين وغيرهم، وكانت ميتة، بين دفات الدفاتر مقبورة بين جدران المكتبات أو مخزونة، في بعض الرؤوس، كأنها أحجار ثمينة، في بعض الخزائن، لا حظَّ للانسانية منها، سوى النظر إليها، صارت عند العرب حياة الآداب، وغذاء الأرواح، وروح الثروة، وقوام الصنعة، ومهمازاً للقوى البشرية، يسوقها إلى كمالها، التي أعدت له.

وليس في الأوروبيين، من درس التاريخ، وحكّم العقل ثم ينكر أن الفضل، في اخراج أوروبا من ظلمة الجهل، إلى ضياء العلم، وفي تعليمها كيف تنظر، وكيف تفكر، وفي معرفتها، إن التجربة، والمشاهدة، هما الأصلان، اللذان، يبنى عليهما العلم. ذلك كله إنما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم، التي حملوها اليهم، وأدخلوها من (اسبانيا) وجنوب (إيطاليا ، وفرنسا) عليهم، فدب العلم إلى شمالي (إيطاليا) واستقر به القرار، هناك.

ويقول آخر: لا أدري، كيف أعطانا الإسلام. في مدة (قرنين) عددا من الفلكيين، يطول سرد أفرادهم، وأن الكنيسة تسلطت، على العالم المسيحي، اثني عشر قرنا، في اوروبا، ولم تمنحنا فلكياً واحداً.

هذا النماء، والذكاء، العلميّ، لم يكن خاصاً بطائفة، دون سواها، بل كان الناس في التمكن من نتائجه سواء، وإنما كان

التفاضل بالجهد، والعمل.

والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء، وعمّالهم، وسماحة الدين ويسره، وسهولته على أهله، وأهل ذمته.

قال بعض فلاسفة الغربين قولاً يعرفه الحق، وتثبته المشاهدة:

إنّ شعوب الأرض، لم تر قط فاتحاً، بلغ من الحلم، هذا المبلغ يريد (فاتحي الإسلام) ولا ديناً بلغ في لينه، ولطفه، هذا الحد (يعني دين الإسلام)[1].

قال (رينان) في خطبته: (دين الإسلام والعلم) ص ٢٠.

وفي الواقع لأن الإسلام جميعه، مبني على العقل، انتشرت العلوم، العقلية، في الإسلام، حتى أن فلاسفة من المسلمين تسمى (اخوان الصفا)[2] ألفت كتباً نفيسة، وأن رجلين فاضلين، وهما (الفارابي) و (ابن سينا) وصلا في المعارف، إلى درجة قصوى، صارا بها من أصحاب الأفكار، العالمية، وانتشر علم الفلك، والجبر، انتشاراً كبيراً وعلم الكيمياء، ظهرت ثمراته المدهشة، في (التقطير)

---

(١) الإسلام والنصرانية للشيخ محمد عبده ص ١٠٤.

(٢) في حدود سنة ٣٧٣ ظهرت هذه الجماعة ومنهم أبو سليمان محمد بن مشعر البستي وأبو الحسن علي هارون الزنجاني وتألفت هذه العصابة من عشرة أشخاص وضعوا بينهم مذهباً زعموا أنهم قرنوا به الطريق الى الفوز برضوان الله. وزعموا أنه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال للنوع الإنساني وقال نعمان الألوسي بحقهم: هي أصل مذهب القرامطة وربما نسبوها - أي رسائلهم المسماة إخوان الصفا - إلى جعفر الصادق ترويجاً. وقد صنفت رسائلهم بعد المائة الثالثة في دولة بني بويه. ورسائل اخوان الصفا أربع أجزء الأول للرياضيات والثاني في الطبيعيات والثالث في العلوم النفسانيات العقليات، الرابع في الناموسيات الإلّهيات ويليه رسائل في الاراء والديانات.

وعلى رأي بعضهم في (البارود). أيضاً. ثم نهج مسلموا اسبانيا منهج مسلمي الشرق في اكتساب العلوم، فنرى **(ابن باجه)**[1] و **(ابن طفيل)**[2] و**(ابن رشد)**[3] يرفعون الأفكار إلى درجة لم تصل إليها قط.

لقد تكلمنا بمنتهى الإيجاز والاختصار عن موقف الدين من العلم وبينا أثر الدين الإسلامي في العرب خاصة وأمم العالم عامة. وكان ذلك بكلمات بل بإشارات لم يتسع الوقت لإعطاء الصورة الكاملة عن أثر هذا الدين العظيم وما أحدثه في العالم من أحداث حسية ومعنوية وروحية ومادية وإننا لنعتقد أن أوروبا لم تستطع ابداع هذه الحضارة ولا أن تصل إلى هذه المدنية الحالية إلا بفضل الإسلام والمسلمين الذين علّموا أوروبا وأخرجوا أهلها من ظلمات الجهل ومن عفن الخرافات.

ونرجوه تعالى أن يوفقنا لاعطاء هذه المواضيع حقها من الدراسة والبحث ونختم كلامنا بحمده تعالى وشكره على ما ألهمنا ووفقنا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

أملاه الفقير إليه تعالى

الشيخ محمد نمر الخطيب

(١) هو محمد بن يحيى بن باجّه وقد يعرف بابن الصائغ، أبو بكر التجي الأندلسي الرقطي من فلاسفة الإسلام. ينسب إلى التعطيل ومذاهب الحكماء، وذهب إلى فاس فاتهم بالإلحاد ومات فيها سنة ٥٣٣هـ. وفيات الأعيان ٢ : ٧.

(٢) هو أبو بكر أو أبو جعفر محمد بن عبد الملك بن الطفيل الأندلسي أو الفيسي. الفيلسوف الطبيب وهو من تلامذة ابن باجه وكان بينه وبين ابن رشد مباحث ومراجعات وتوفي بمراكش سنة ٥٨١هـ

(٣) هو القاضي أبو الوليد بن رشد الحفيد. توفي بمراكش سنة ٥٩٥هـ سبق تعريفه

فهارس الكتاب

فهرس الآيات القرآنية الواردة في الكتاب

سورة القلم آية ١ – ٢	(ن والقلم وما يسطرون) ص ١٣
سورة العلق آية ١ – ٥	(اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم) ص ١١، ١٣

فهرس الأحاديث النبوية[1]

صفحة

(١) رتبت الأحاديث حسب ورودها في الكتاب

١٦/ أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فإن شاء أعطاءهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلماً / أخرجه ابن ماجه.

١٨/ تعلموا العلم فإن تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة... وترغب الملائكة في خلتهم وبأجنحتها تمسحهم رواه أبو الشيخ من كتاب الثواب.

٢١/ طلب فريضة على كل مسلم ومسلمة / طرقة ضعيفة كما نقل عن أحمد إنها لا تثبت وعن ابن راهويه إن في إسناده مقالاً أسنى المطالب.

٢٢/ أطلبوا العلم ولو بالصين / رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان.

٢٩/ أطلبوا العلم ولو بالصين / رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان.

٢٩/ طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة / طرقة ضعيفة أسنى المطالب ص ١٣٢

٣٩/ الحكمة ضالة المؤمن / كشف الخفا رقم ١١٥٩.

فهرس الأعلام

فهــرس البلــدان

* تعني انه قد عرّف بها بالهامش تلك الصفحة.

-موقف الدين من العلم-
جريدة المراجع والمصادر

١ -القرآن الكريم

٢ -إحياء علوم الدين: حجة الإسلام الغزالي، دار المعرفة بيروت

٣ - الإسلام دين العلم والمدنية: محمد عبده، تحقيق طاهر الطناحي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر ١٣٨٤هـ

٤ -الإسلام عقيدة وشريعة: محمد شلتوت،

٥ -الإسلام في عصر العلم: محمد فريد وجدي، دار الكتاب العربي- بيروت ط ١٩٦٧/٣

٦ -الإسلام والعلم: الشيخ عبد الفتاح الامام، دار الطباعة العربية، دمشق.

٧ - الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده، مكتبة محمد صبيح مصر، ١٣٧٣هـ

٨ - اسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب: للسيد درويش الشهير بالحوت، البابي الحلبي مصر، ١٣٤٦

٩ - تابع العروس: للإمام الزبيدي، دار الحياة- بيروت

١٠ - تاريخ علم الهيئة: دبلامير،

١١ - الحضارة الإسلامية: أحمد زكي بك،

١٢ - حضارة العرب: غوستاف لوبون، نقله إلى العربية عادل زعيتر. ط٢، البابي الحلبي مصر ١٩٤٨.

١٣ - الخطط المقريزية: للمقريزي، طبع في مصر ١٣٢٧هـ

١٤ - خلاصة الأثر: للمحبي، دار صادر - بيروت

١٥ - الدارس من تاريخ المدارس: الشيخ محي الدين النعيمي الشافعي، حققه: جعفر

١٦ – الحسنى، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٨م.
١٧ – **دليل مباحث علوم القرآن**: الشيخ محمد العربي العزوزي، دار الإنصاف – بيروت ١٣٧٥هـ
١٨ – **دين الإسلام والعلم**: المسيو رينان،
١٩ – **الدين والعلم وهل ينافي الدين العلم**: الشيخ مصطفى الغلاييني، المكتبة الأهلية – بيروت
٢٠ – **رحلة ابن جبير**: ابن جبير الكفاني، طبع في مصر سنة ١٣٢٦هـ.
٢١ – **الروض المعطار**: الحميري ت ٩٠٠هـ تحقيق: إحسان عباس دار لبنان – بيروت ١٩٧٥
٢٢ – **روضات الجنات** في أحوال العلماء والسادات / محمد باقر الموسوي، دار المعرفة – بيروت
٢٣ – رياض الصالحين: الإمام النووي، مكتبة الجمهورية العربية – مصر ١٩٦٠م.
٢٤ – **سنن الترمذي**: للحافظ الترمذي، بعناية عزت عبد الدعاس، دار الدعوة. حمص ١٩٦٥م.
٢٥ – **سنن أبي داود**: للحافظ أبو داود السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.
٢٦ – **سنن أبي ماجة**: للحافظ ابن ماجة، دار الفكر – بيروت
٢٧ – **شذرات الذهب**: ابن العماد الحنبلي، المكتب التجاري – بيروت
٢٨ – **صحيح البخاري**: للإمام البخاري، مطبوعات محمد علي صبيح، مصر،
٢٩ – **صحيح مسلم**: للإمام مسلم، المطبعة المصرية، – مصر.
٣٠ – **صحيح ابن حبان**: ابن حبان
٣١ – **صفوة العرفان**: للمرحوم مزيد وجدي، مطبعة السعادة – مصر١٣٢١هـ
٣٢ – **طبقات الأطباء**: لأبي داود سليمان بن حسان الاندلسي المعروف بان جلجل طبع بمصر سنة ١٩٥٥م
٣٣ – **طبقات الشافعية الكبرى**: لتاج الدين السبكي، الحسينية ط١ – مصر.
٣٤ – **عقود الجواهر من تراجم من لهم خمسون تأليفاً فمائة فأكثر**: جميل العظم.
٣٥ – **علم أصول الفقه**: عبد الوهاب خلاق
٣٦ – **العبودية**: ابن تيمية ت ٧٢٨هـ، لاهور باكستان ١٣٩٦هـ.

٢٧- فوات الوفيات: ابن شاكر الكتبي، الاميرية، ١٢٨٣هـ.
٢٨- قصة الحضارة: ول ديورانت، ترجمة احمد الشيباني، المكتبة الأهلية- بيروت
٢٩- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، مصر ١٣٠٣هـ
٤٠- كشف الخفا: اسماعيل بن محمد العجلوني مصر / دار إحياء التراث- بيروت
٤١- كشف الظنون: حاجي خليفة، مكتبة المثنى. بغداد.
٤٢- اللباب في تهذيب الانساب: ابن الأثير، دار صادر.
٤٣- المسند: الإمام احمد بن حنبل، تحقيق احمد شاكر، دار المعارف، مصر، ١٩٤٦م.
٤٤- المعارف العقلية: للإمام الغزالي، دار الفكر بدمشق.
٤٥- معجم الأدباء: ياقوت الحمدي، دار أحياء التراث، - بيروت.
٤٦- معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي: للمستشرق زامباور / أخرجه زكي حسن بك وحسن محمود جامعة فؤاد الأول / مصر/ ١٩٠١م.
٤٧- معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف اليان سركيس، مكتبة يوسف اليان سركيس، مصر، ١٩٢٨م.
٤٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة دار الكتب، مصر، ١٣٦٤هـ.
٤٩- مفتاح السعادة ومصباح السيادة: طاش كبرى زاده، حققه: كامل بكر وعبد الوهاب ابو النور/ دار الكتب العربية- مصر.
٥٠- المكتبات في الإسلام: محمد ماهر حمادة، مؤسسة الرسالة ط١- بيروت ١٣٩٠هـ.
٥١- من نور الإسلام: الشيخ محمد نمر الخطيب، دار الحياة- بيروت.
٥٢- النجوم الزاهرة: ابن تغرى بردى ت ٨٧٤هـ، وزارة الثقافة- مصر
٥٣- وفيات الأعيان: ابن خلكان، الاميرية، ١٢٩٩هـ.
٥٤- مجلة آفاق: السنة الثالثة، عدد (١) سنة ١٩٧٧ بغداد

فهرس الموضوعات

مؤلفات صاحب الكتاب

١ - من هدي القرآن
٢ - من أثر النكبة
٣ - المدخل لدراسة النطق
٤ - فلسفة الحج
٥ - الاسلام دين هداية
٦ - من نور الإسلام
٧ - أحداث النكبة
٨ - الإيمان طريقنا إلى النصر
٩ - حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية
١٠ - مرشد الدعاة
١١ - أبحاث تمهيدية في العقيدة الإسلامية
١٢ - موقف الدين من العلم

تحت الطبع

١ - فلسفة العبادة في الإسلام
٢ - قبس من نور الإسلام
٣ - من علوم القرآن
٤ - دراسات في الفلسفة الإسلامية
٥ - الفلسفة الإسلامية من مصادرها الأصلية
٦ - تاريخ الفقه الإسلامي
٧ - مقدمات في الفلسفة
٨ - أيام في الباكستان
٩ - عام في تونس وليبيا
١٠ - شهور في المغرب الأقصى
١١ - محاضرات إسلامية
١٢ - أحسن الحديث
١٣ - شخصيات عرفتها
١٤ - فتاوي إسلامية
١٥ - أسئلة وأجوبتها
١٦ - النصرانية في القرآن وكما فهمها المفسرون
١٧ - اين عرفة عالم المغرب